

مَجَلة شَهرِيَّة اسْلاميَّة أَدبيَّة

تصدر عن دار التأليف والترجمة، بنارس

المجلد (٤٠)	جمادى الأولى ١٤٢٩ هـ
العدد الخامس	مايو ٢٠٠٨ م

المشرف على المجلة: الدكتور مقتدى حسن بن محمد ياسين الأزهرى

مساعد المشرف: أسعد أعظمي بن محمد أنصاري

☆ عنوان المراسلة:	**صوت الأمة** بى ١ / ١٨ جى، ريورى تالاب، بنارس، الهند THE EDITOR B-18/1-G, Reori Talab, Varanasi - 221010 (India)
☆ الاشتراك باسم:	دار التاليف والترجمة، ريورى تالاب، بنارس، الهند DAR-UT-TALEEF WAT-TARJAMA B-18/1-G, Reori Talab, Varanasi - 221010 (India)
☆ الاشتراك السنوي:	في الهند (١١٠) روبية، ثمن النسخة (١٠) روبيات في الخارج (٣٦) دولار بالبريد الجوي، (١٥) دولار بالبريد العادي

☆ **تليفون: ٢٤٥٢٢٤١ / ٢٤٥١٤٩٢ فاكس: ٢٤٥٢٢٤٣**

www.aljamiatussalafiah.org

E-mail: jamia@aljamiatussalafiah.org / secretary@aljamiatussalafiah.org

محتويات العدد

الافتتاحية

الاسلام هو الذى قضى على التعصب

وجهت الى الاسلام تهم كاذبة كثيرة للتشهير به من قبل أعدائه، ومنها أمور وجدت فى الطاعنين أنفسهم، ولكنهم مكروا وكادوا فنسبوا الى الاسلام أعمالهم المخزية، ثم حمّلوا الاسلام مسئولية أعمال الجهلة من المسلمين على أنها نتجت عن تعاليم الاسلام.

الف – من معاني التعصب أن يزاد لأحد فوق حقه وينقص لآخر عند إعطاء الحقوق.

ب – ومنها أن تفرض قيود غيرمشروعة على الناس فى سبيل الحرية الفكرية والحرية الدينية.

ج – ومنها حرمان الأديان الأخرى حق البقاء تأييدا لدين.

د – ومنها أن يزعم الانسان أن أتباع دينه هم المستحقون لبركات دينه وأنواره، والآخرون مبعدون عنها.

ونحمد الله تعالى على أن تعليم الاسلام بعيد عن هذه النقائص، وقد ذم القرآن الكريم والرسول ﷺ أقسام التعصب هذه، وطهرا ذيل الاسلام من هذه النقيصة دائما.

ويتأكد نفى أقسام التعصب الأربعة بما يأتى من آيات القرآن ومعاملة المسلمين:

١ – ﴿ يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ﴾ (١)

٢ – ﴿ ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا ﴾ (٢)

٣ – ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ﴾ (٣)

٤ – ﴿ وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا

---

(١) سورة المائدة (٥ / ١).

(٢) سورة المائدة (٥ / ٢) .

(٣) سورة المائدة (٥ / ٢) .

أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا واليه المصير ﴾ (١)

٥ – ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون ﴾ (٢)

٦ – ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾ (٣)

٧ – ﴿ لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى ﴾ (٤)

هذه هى بعض آيات القرآن، فهل يستطيع أحد أن يقدم من كتاب مقدس آخر مثل هذه التوجيهات أو أعلى منها ؟

ثم ان نماذج التسامح وصور الحياد التى برزت فى عصر النبوة وخلفائه الراشدين والملوك العظام، لا تزال موجودة فى الكتب الاسلامية.

والحلف الذى عقده النبى ﷺ مع اليهود بعد الوصول الى المدينة جدير بالنظر والتفكير، مع ملاحظة أن اليهود هم الذين لم تحسن اليهم قط حكومة بابل الوثنية، ولا رحمتهم حكومة مصر، ولا راعاهم قط أمة المسيح الذى نشأ فى نسل يهوداه.

ومعاهدة النبى ﷺ مع النصارى تستحق أيضا التفكير، وهى دليل قوى صارخ على حياد الاسلام ورسوله ﷺ وعلى التسامح والتوسع.

ومن أدلة التسامح والحياد موقف أهل السلطة فى عهد بنى أمية وبنى العباس والأندلسيين والفاطميين من الأمم الأخرى التى تمتعت بكافة الحقوق والحريات.

وكذلك تمتع اليهود والنصارى فى تلك العصور بالمناصب المهمة دون تفريق .

ثم انظروا الى الهند، كانت كلمة "آريا" تطلق على الأمم العالية على أنها أنسب من

(١) سورة الشورى (٤٢ / ١٥).

(٢) سورة المائدة (٥ / ٨).

(٣) سورة آل عمران (٣ / ٦٤).

(٤) سورة البقرة (٢ / ٢٥٦).

غيرها، ولكن المساحة التى خصصت فى كتاب "ستيارتھ بركاش" لـ "آريه ورت" (١) لم تدخل فيها منطقة مدراس وبنغال والولايات الواقعة فى الشمال الغربى، وكذلك خرجت منها معظم أمكنة ولاية بيهار، وقد حرم هذا التحديد ملايين الناس لقب "الأمة الكريمة" أو "الآريا".

ومن كرم المسلمين انهم اعتبروا نهر اندو (اتك) حدا طبيعيا، ولقبوا من يسكن وراء ه بـ "هندو" وقد اجتمع تحت هذا اللقب جميع الأمم التى سكنت هذه المنطقة، وهكذا تحقق بينهم الاجتماع، ولم تمس الحاجة الى تسمية أحد باسم غير شريف.

ولما تم تعامل المسلمين مع سكان هذه البلاد ولقبوهم بـ "لاله" ومعناه الأخ الكبير، ولا تزال هذه الكلمة تستعمل فى نفس المعنى فى ولاية سرحد "الثغور" وهناك قرية ومحطة سكة الحديد تسميان "لاله موسى" وهو اسم مسلم وجيه فى هذه المنطقة.

ان الملك أورنكزيب يتهم بالتعصب، ولكن قائمة رجال بلاطه الهنادك أكبر من قائمة رجال بلاط أكبر الذى اتفق الناس على تسامحه وحياده.

ولم يضم أورنكزيب ولاية (راجبوتانه) الهندوكية الى مملكته، حينما قر أربع ولايات مسلمة فى منطقة (دكن) وضمها الى مملكته.

وكذلك لم يتدخل فى عادة احتراق الزوجة مع جثة زوجها، وعادة الزواج فى سن مبكرة، ولم يزل عدد السكان الهنادك حول عاصمتى آكره ودهلى أكثر من السكان المسلمين.

وانظروا الى الألقاب التى منحت الحكام (راجا) الهنادك، انها ألقاب عظيمة، وقد خصصت منطقة أرضية أيضا مع كل لقب.

ثم ينبغى أن ننظر الى معاملة الهنادك مع المسلمين أيضا، فانهم اعتبروا المسلمين دائما منبوذين، ولكن المسلمين لم يعتبروا أحدا منبوذا، وتركوا التجارة للهنادك، وأقطعوا للمعابد الوثنية والملاجىء، وأنشأوا المساكن للفقراء والبائسين.

وانهم آثروا أرض الهند لحياتهم وموتهم على موطنهم الأصلى، واختاروا لغة هذه

(١) ستيارتھ پركاش (٣٥٦)، معنى آرياورت: العالم الذى كان يحكمه قوم آريا من الهنادك.

البلاد على لغتهم الأم وجعلوها لغة البلاط والقصور.

فهل يسع معترضا أن يقدم بقوله وفعله نماذج التسامح وعدم التعصب أكثر وأقوى مما ذكرنا ؟

ان التجارة الخارجية كانت بأيدي العرب وأهل الصين، ولما تقدمت الأمم الأروبية الى الهند رُحّب بهم ووضعت الضريبة الجمركية عن بضائعهم.

ولذا صرح علماء السياسة المعاصرة بأن تسامح المسلمين وعدم تعصبهم هو الذى أدى الى انتهاء سيطرتهم وزوال ملكهم.

وقد يتحمل مسلم سمح هذا الاعتراض، ولكنه لا يسلم بأن الاسلام يدعو الى التعصب.

ولعل أحدا يقرأ هذه السطور فيشير الى غزوات الاسلام وسراياه والى حروب العرب ويجعلها علامة للتعصب الدينى. ولكن الحقيقة أن مثل هذا الزعم مبنى على جهل التاريخ وعلل الوقائع.

إن غزوات النبى ﷺ كانت مع الأمة والأسرة التى كان منها النبى ﷺ والسابقون الأولون من المسلمين. وقد بالغت أمة النبى ﷺ فى عداء الاسلام ومحاربته، فوقعت الحروب، ومثل هذا الجدال العائلى لا يمكن أن يكون دليلا على التعصب الدينى.

وأود هنا أن أصرح بأن حروب الاسلام لم تكن لنشر تعاليم الاسلام ولا لإكراه الأديان الأخرى، وقد ذكر القرآن الكريم علة الحروب الاسلامية فقال:

﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز ﴾ (١)

وصوامع جمع صومعة وهى فى اللغة المبنى الذى يكون دقيقا فى أعلاه، وكانت خلوات دراويش ترسا على هذه الصورة، وكذلك كانت معابد الهنادك، وكانت تعرف بهذا الاسم.

وبيع جمع بيعة وهى كنيسة النصارى، وصلوات معربة صلوة بالعبرية، أى معابد

(١) سورة الحج (٢٢ / ٤٠).

اليهود، والمساجد هى معابد المسلمين المؤمنين.

والآية المذكورة تدل على أن المسلمين أذن لهم بالقتال لتأمين حريات الأديان جميعا، وليقضوا على الفساد، حتى لا تهدم معابد النصارى واليهود والمجوس ومساجد المسلمين.

وطالب التاريخ المبتدىء يعلم أن الفرس اذا سيطروا على آسيا الصغرى فى عهد برويز هدموا كنائس النصارى، وبعد عشر سنوات تحقق الانتصار للنصارى فأفنوا معابد المجوس. (١)

وصوامع اليهود كلها هدمت على أيدى الملوك الروم ظلما وتعصبا، حتى أن أرض أورشليم التى هدم بناء ها ملك الروم يزدن عام ٨٠ م، قد جعلت مزبلة بأمر من والدة الملك قسطنطين أول ملك نصرانى. أما مساجد المسلمين فلم تكن لها صيانة قطعا، فانهم كانوا محاربين من قبل المجوس والنصارى جميعا. (٢)

أقام الله تعالى المسلمين، وحملهم مسؤولية الحفاظ على معابد العالم، فأدوا هذه المسؤولية على أحسن طريق.

والآية المذكورة تضمنت تنبؤا أيضا، وهو أن حروب المسلمين حينما تكون للمبادئ المذكورة يتحقق لهم النصر من الله تعالى، فينتصرون على كل أمة تهدم معابد دين آخر.

ومن تأثير هذا الكلام الربانى وإعجازه أن الجيش الاسلامى لم ينهزم فى موقع واحد من المواقع فى زمن أبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم، بل تحقق له الانتصار فى كل حرب، وصدق قول الله تعالى:

﴿ وان جندنا لهم الغالبون ﴾ (٣)

وقد أثبت هذا الانتصار أن حروب المسلمين وقعت تحقيقا لمبدأ الحفاظ على معابد أديان العالم واحترامها.

---

(١) ابن خلدون (٢ / ٢٢٣)، تفسير ابن كثير (٥ / ٣٤١) وما بعد .

(٢) ابن خلدون (٢ / ١٩٨، ٢٠١)، تفسير ابن كثير (٥ / ٣٤١).

(٣) سورة الصافات (٣٧ / ١٧٣).

فهل يبقى بعد ذلك اعتراض على الحروب الاسلامية ؟ وأقول: ان من عزيمة المسلمين أنهم تحملوا الحروب وضحوا بأنفسهم فى سبيل الحفاظ على معابد غيرهم، فهل هناك أمة تستطيع الدلالة على عدم تعصبها بهذه الطريقة ؟

اسألوا التاريخ كيف حافظ أعيان النصرانية وملوك الكنيسة فى الشام وفلسطين والعراق ومصر قبل الفتح الاسلامى، على أرواح الناس وأموالهم، بل على أرواح الفرق الأخرى من النصرانية وأموالهم ؟

ان المسائل التى استمرت حولها سفك الدماء فى فرق النصارى مدى القرون كانت كالآتى:

١ – هل كان المسيح صاحب جسم واحد وروح واحدة ؟

٢ – هل كان المسيح صاحب جسم واحد وروحين ؟

٣ – فان كان صاحب جسم واحد وروح واحدة، فهل كانت هذه الروح إنسانية أو إلهية؟

٤ – فان كانت فيه روح إنسانية فمتى بدأت ألوهيته وكيف ؟

٥ – وان كان المسيح صاحب جسم واحد وروحين (إنسانية وإلهية) فأي الروحين كانت غالبة ؟

٦ – هل كان هناك تغالب بين الروح الإنسانية والروح الإلهية حينا أو آخر ؟

٧ – وصلب المسيح وقع مع الروح الإلهية أو بدونها ؟

٨ – وان لم تكن معه الروح الإلهية وقت الصلب فكيف تحملت الروح الإنسانية ذنوب المذنبين ؟

٩ – وان كان معه الروح الإلهية فهل وقع صلب الألوهية أيضا ؟

والحاصل أن مثل هذا التعنت والتقعر كدّر تعليم المسيح الصافى والصادق وعقّده غاية التعقيد، فظهرت بدع جديدة وفرق عديدة زعمت أن رضا المسيح فى قتل أتباع الفرق الأخرى.

والسيطرة الاسلامية هى التى أوقفت هذه المأساة الدموية على جزء كبير من الدنيا.

وكانت ايران تحت حكم مبادىء المزدكية، ولم يكن هناك حق الحياة للمرأة إلا جعلت نفسها شيئا مشاعا للأمة.

ولما حاولت بوران دخت وايران دخت من الحكام إلغاء العمل بالمبادىء المذكورة وصلت كل منهما من عرش الحكم الى خشبة الموت.

والحكم الاسلامى هو الذى حافظ على أرواح الناس وأموالهم، وتسامح الاسلام هو الذى سبب لهم الحياة.

وقد أورد كتاب "ستيارتھ پركاش" الأفعال والترانيم الفاحشة الماجنة لـ "كوشائين وبيراكى وچيرانكت آچارى، وويشنوآوك، ووام ماركى، وفرق مارك" ووجود مثل هذه الفرق فى الهنادك كان سببا للمحاربة والمجادلة.

والأمم الهندوسية التى دخلت فى الهند جعلت سكانها المفتوحين منبوذين، ولا يزال العمل على ذلك الى الآن، والأعمال التى قام بها أتباع البوذية والجينية فى إبادة أجيال الهنادك والأعمال التى قام بها ديانة (شنكر أچارج) لإخراج البوذيين من الهند، هى كلها قصة دموية للتعصب. ومن جراء هذا التعصب والعناد أنه لم ينجح ملك هندوكي فى حكم جميع الهند، بل ظلت كل حكومة صغيرة فيها متشابكة مع حكومة صغيرة أخرى.

ومن تسامح الاسلام أنه علم جميع الفرق والحكومات البقاء فى حدودها، ونفس هذا التوجيه تلقته دولة بريطانيا وبه تمكنت من الحكم على مئات الأديان بالهند، ولكن لم يتيسر مثل ذلك فى انجلترا وويلز وايرلندا واسكات لندا، مع أن سكانها كانوا من فرقتي البراتستانت والكاثوليك.

وخلاصة المبحث أن الاسلام لم يقر التعصب أبدا.

(من كتاب: رحمة للعالمين للقاضي محمد سليمان المنصورفورى،
تعريب: د. مقتدى حسن محمد ياسين الأزهرى)

●●●

العقيدة الإسلامية

الفرقة الناجية

الشيخ عبيد الله الرحماني المباركفوري رحمه الله

وعن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: ليأتين على أمتي كما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل، حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية، لكان في أمتي من يصنع ذلك. وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة. قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي. رواه الترمذي.

قوله (ليأتين) من الإتيان وهو المجئ بسهولة، وعدى بعلى لمعنى الغلبة المؤدية إلى الهلاك، ومنه قوله تعالى: ﴿ما تذر من شيء أتت عليه – ٥١: ٤٢﴾ (على أمتي) قالوا: المراد أمة الإجابة وهم أهل القبلة، فإن اسم الأمة مضافا إليه ﷺ يتبادر منه أمة الإجابة (كما أتى) وفي جامع الترمذي «ما أتى»أي بغير الكاف، فما موصولة، وهي مع صلتها فاعل «ليأتين» أي ليفعلن أمتي ما فعل بنو إسرائيل من القبائح. وأما توجيه ما وقع ههنا فقال القاري: فاعل «ليأتين» مقدر يدل عليه سياق الكلام، والكاف منصوب عند الجمهور على المصدر، أي ليأتين على أمتي زمان إتيانا مثل الإتيان على بني إسرائيل. وجوز أن يكون الكاف فاعلا، أي ليأتين على أمتي مثل ما أتى على بني إسرائيل (حذو النعل بالنعل) حذو النعل استعارة في التساوي، وهو منصوب على المصدر، أي يحذونهم حذوا مثل حذو النعل بالنعل، يوافقونهم مثل موافقة النعل للنعل، ويعملون مثل أعمالهم كما تقطع احدى النعلين على قدر النعل الأخرى، والحذو التقدير والقطع. فإن قيل قد وقع فيما مضى قتل الأنبياء، وتحريف الكتب، قلت: لعل ما وقع في أيام بني أمية من قتل علماء التابعين مثل سعيد بن المسيب ونحوه، من هذا القبيل، فعلماء أمته كأنبيائهم، كيف وقد قتلوا فلذة كبدة الرسول والولد من أبيه كما

قيل، وما اشتهر فيما مضى من تحاريف الباطنية، وفي هذا الزمان من بعض أهل البدع لا يقصر من تحريفهم، قاله محمد طاهر الفتنى (حتى إن كان) «حتى» ابتدائية والواقع بعده جملة شرطية، و«إن» بمعنى لو، ولذا قرن جوابها باللام، وقيل «إن» هذه مخففة من المثقلة أى حتى إنه (من أتى أمه) إتيانها كناية عن الزنا، والمراد من الأم موطؤة الأب (من يصنع ذلك) أى الإتيان (وإن بنى إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة) وفي حديث أنس عند ابن ماجه:" إن بنى إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة، وفي حديث أبي أمامة، وأبي الدرداء، وواثلة بن الأسقع، وأنس عند الطبراني، وحديث عوف بن مالك عند ابن ماجه، وحديث أنس عند أبي يعلى ما يدل على أن اليهود افترقت على إحدى وسبعين فرقة كلهم في النار، وواحدة في الجنة، وإن النصارى افترقت على ثنتين وسبعين فرقة كلهم في النار، وواحدة في الجنة، وفي حديث أبي هريرة عند الترمذي وغيره: تفرقت اليهود على احدى وسبعين فرقة. أو (على الشك) اثنتين وسبعين فرقة، والنصارى مثل ذلك. ولا تخالف بين هذه الروايات، فإنه يجمع بينها بأنه يمكن أن تكون رواية الإحدى والسبعين وقت أعلم بذلك، ثم أعلم بزيادة فرقة، إما أنها كانت فيهم ولم يعلم بها النبي ﷺ أولا ثم أعلم بها في وقت آخر، وإما أن تكون جملة الفرق في الملتين ذلك المقدار فأخبر به، ثم حدثت الثانية والسبعون فيهما فأخبر بذلك عليه السلام، وعلى الجملة فيمكن أن يكون الاختلاف بحسب التعريف بها أو الحدوث، والله أعلم بحقيقة الأمر.

و «الملة» في الأصل ما شرع الله لعباده على ألسنة الأنبياء ليتوصلوا به إلى القرب من حضرته تعالى، ويستعمل في جملة الشرائع دون آحادها، ثم إنها اتسعت فاستعملت في الملل الباطلة، فقيل: الكفر ملة واحدة، لأن طريقة أهل الكفر، وكذا طريقة كل فرقة من أهل الأهواء والبدع كالملة الحقيقية في التدين بما تدينوا به، فسميت باسمها مجازا (وتفترق أمتي) أى أمة الإجابة، فيكون الملل الثلاث والسبعون منحصرة في أهل قبلتنا، وإن كانت بدعة بعض هذه الملل مكفرة ومخرجة عن الإسلام، هذا هو المتبادر من إضافة اسم الأمة إليه ﷺ، ويؤيده اعتبار الواقع لأن كل فرقة منهم تدعى الشريعة، وأنها على صوبها، وأنها المتبعة

لها، وتتمسك بأدلتها، وتعمل على ما ظهر لها من طريقها، وتناصب العداوة من نسبتها إلى الخروج عنها، وترمي بالجهل وعدم العلم من ناقضها، لأنها تدعي أن ما ذهبت إليه هو الصراط المستقيم دون غيره، ويؤيده أيضا أن افتراق أمة محمد شبه بافتراق اليهود والنصارى، ومن المعلوم أن افتراق بني إسرائيل وقع حال كونهم من أمة موسى وعيسى، أى شمول لفظ اليهود والنصارى إياهم (على ثلاث وسبعين ملة) أى يفترقون ثلاثا وسبعين فرقة تتدين كل واحدة منها بخلاف ما تتدين به الأخرى. وفيه إشارة بل تصريح لتلك المطابقة مع زيادة هؤلاء في ارتكاب البدع بدرجة، وليس المراد بالافتراق في الحديث مطلق الافتراق حتى يدخل فيه ما وقع من الاختلاف في مسائل الفروع في زمان الخلفاء الراشدين، ثم في سائر الصحابة، ثم في التابعين، ثم في الأئمة المجتهدين، بل المراد به الافتراق المقيد، وهو التفرق الذى صاروا به شيعا وأحزابا وفرقا وجماعات، بعضهم فارق البعض، ليسوا على تألف ، ولا تعاضد، ولا تناصر، بل على ضد ذلك من الهجران، والقطيعة ، والعداوة، والبغضاء، والتضليل، والتكفير، والتفسيق، وهذه الفرقة المشعرة بتفرق القلوب المشعر بالعداوة والبغضاء إنما هى بسبب الابتداع في الشرع، والخروج عن السنة، لا بسبب أمر دنيوى، ولا بسبب معصية ليست ببدعة. قيل: والمراد بالابتداع المذكور الابتداع في الأصول والعقائد لا الفروع والعمليات.

قال العلقمي: قال شيخنا: ألف الإمام أبو منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي في شرح هذا الحديث كتابا قال فيه: قد علم أصحاب المقالات أنه ﷺ لم يرد بالفرق المذمومة المختلفين في فروع الفقه من أبواب الحلال والحرام، وإنما قصد بالذم من خالف أهل الحق في أصول التوحيد، وفي تقدير الخير والشر، وفي شروط النبوة والرسالة وفي موالاة الصحابة، وما جرى مجرى هذه الأبواب، لأن المختلفين فيها قد كفر بعضهم، بخلاف النوع الأول فإنهم اختلفوا فيه من غير تكفير ولا تفسيق للمخالف فيه فيرجع تأويل الحديث في افتراق الأمة إلى هذا النوع من الاختلاف، وقد حدث في آخر أيام الصحابة خلاف القدرية، من معبد الجهني وأتباعه وتبرأ منهم المتأخرون من الصحابة كعبد الله بن عمر، وجابر، وأنس ونحوهم، ثم حدث الخلاف بعد ذلك شيئا فشيئا إلى أن تكاملت الفرق الضالة اثنتين وسبعين فرقة، والثالثة

والسبعون هم أهل السنة والجماعة، وهى الفرقة الناجية – انتهى.

وقال الشاطبى فى الاعتصام: القول بأن الفرق المذكورة فى الحديث هى المبتدعة فى قواعد العقائد على الخصوص كالجبرية والقدرية والمرجئة وغيرها هو مما ينظر فيه، فإن إشارة القرآن والحديث تدل على عدم الخصوص، وهو رأى أبى بكر الطرطوشى، أفلا ترى إلى قوله تعالى: ﴿فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه – ٣:٧﴾ الآية. و «ما» فى قوله «ما تشابه» لا تعطى خصوصا فى اتباع المتشابه لا فى قواعد العقائد ولا في غيرها، بل الصيغة تشمل ذلك كله، فالتخصيص تحكم، وكذلك قوله تعالى: ﴿إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شىء – ٦:١٥٩﴾ فجعل ذلك التفريق فى الدين، ولفظ الدين يشمل العقائد وغيرها من الأقوال والأعمال. وقوله: ﴿ وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله – ٦:١٥٣﴾ فالصراط المستقيم هو الشريعة على العموم، وأشار بلفظ «هذا» إلى ما تقدم ذكره من أصول الشريعة وقواعدها الضرورية، ولم يخص ذلك بالعقائد . قال: نعم ثم معنى آخر ينبغى أن يذكر ههنا، وهو أن هذه الفرق إنما تصير فرقا بخلافها للفرقة الناجية فى معنى كلى فى الدين، وقاعدة من قواعد الشرعية، لا فى جزئى من الجزئيات، إذا الجزئى والفرع الشاذ لا ينشأ عنه مخالفة يقع بسببها التفرق شيعا، وإنما ينشأ التفرق عند وقوع المخالفة فى الأمور الكلية، لأن الكليات تقتضى عددا من الجزئيات غير قليل، ويدخل شذوذها فى أبواب كثيرة من الأصول والفروع. قال: ويجرى مجرى القاعدة الكلية كثرة الجزئيات، فإن المبتدع إذا أكثر من إنشاء الفروع المخترعة عاد ذلك على كثير من الشريعة بالمعارضة، كما تصير القاعدة الكلية معارضة أيضا. وأما الجزئى فبخلاف ذلك – انتهى كلامه مختصرا . وقد بسط قبل ذلك الكلام (ج١: ص١٤١، ١٥٩) فى ذكر أسباب افتراق هذه الفرق من جماعة المسلمين وخلافهم للفرقة الناجية وابتداعهم الذى صاروا لأجله فرقا وأحزابا، وجماعات متعادين، متباغضين، متدابرين، متقاطعين فعليك أن ترجع إليه.

ثم إن العلماء اختلفوا فى معنى عدد الفرق المذكورة فى الحديث فقيل هو للتكثير لا للتحديد، فإن الفرق المذمومة تزيد على المآت بالنظر إلى تفرقهم فى الأصول والفروع. وقيل:

معنى الحديث أن الفرق المذمومة لا بد أن تبلغ هذا العدد، أى لا ينقص عدد الفرق الغير الناجية من هذا المقدار، فلا بأس لو زاد على ذلك . والحاصل أن العدد المذكور ليس لنفى الزائد. وقيل: هو محمول عى التحديد، فإن المراد بالتفرق تفرقهم فى أصول الدين، والفرق المبتدعة مع شعبها وفروعها لا تزيد على هذا العدد بالنظر إلى ذلك. ثم اختلف أصحاب هذا القول فى تعيين هذه الفرق، فعينها كثير من العلماء، لكن فى الطوائف التى خالفت فى مسائل العقائد، فمنهم من عد أصولها ثمانية. فقال: كبار الفرق الإسلامية ثمانية: المعتزلة القائلون: بأن العباد خالقو أعمالهم، وبنفى الرؤية، وبوجوب الثواب والعقاب، وهم عشرون فرقة. والشيعة، هم ثنتان وعشرون فرقة. والخوارج، وهم عشرون فرقة. والمرجئة، وهم خمس فرق. والنجارية الموافقة لأهل السنة فى خلق الأفعال، والمعتزلة فى نفى الصفات وحدوث الكلام، وهم ثلاث فرق. والجبرية القائلة: بسلب الاختيار عن العباد، فرقة واحدة . والمشبهة الذين يشبهون الحق بالخلق فرقة أيضا. فالجميع اثنتان وسبعون فرقة. فإذا أضيفت الفرقة الناجية إلى عدد الفرق صار الجميع ثلاثا وسبعين فرقة. وقد وصف صاحب المواقف هذه الفرق وفروعها وشعبها وما انفردت به من الآراء بأخصر ما كتب فى هذا الموضوع، فارجع إليه.

وقد عد الشاطبى أسماء أصول هذه الفرق وفروعها، ثم قال: وهذا التعديد بحسب ما أعطته المنة فى تكلف المطابقة للحديث الصحيح، لا على القطع بأنه المراد، إذ ليس على ذلك دليل شرعى، ولا دل العقل أيضا على انحصار ما ذكر فى تلك العدة من غير زيادة ولا نقصان كما أنه لا دليل اختصاص تلك البدع بالعقائد ومنهم من قال: أصول البدع أربعة، وسائر الثنتين والسبعين فرقة عن هؤلاء تفرقوا، وهم الخوارج، والروافض، والقدرية، والمرجئة، قال يوسف بن أسباط: ثم تشعبت كل فرقة ثمان عشر فرقة، فتلك ثنتان وسبعون فرقة، والثالثة والسبعون هى الناجية. وقال الشهرستانى بعد ما ذكر ضابطا فى مسائل الخلاف، وحصرها فى أربع قواعد هى الأصول الكبار ما لفظه: وإذا تعينت المسائل التى هى قواعد الخلاف، تبينت أقسام الفرق، وانحصرت كبارها في أربع بعد أن تداخل بعضها في بعض، كبار الفرق الاسلامية أربع: القدرية، الصفاتية، الخوارج، الشيعة، ثم يتركب بعضها مع

بعض، ويتشعب عن كل فرقة أصناف، فتصل إلى ثلاث وسبعين فرقة ومنهم من قال: أصول الفرق الضالة ست: الحرورية، والقدرية، والجهمية، والمرجئة والرافضة، والجبرية، وقد انقسمت كل فرقة منها اثنتى عشرة فرقة فصارت إلى اثنتين وسبعين فرقة، وهذان التقديران نحو من الأول يرد عليهما من الإشكال ما ورد على الأول فالأولى أن لا تعين هذه الفرقة الضالة المخالفة للفرقة الناجية فى أصول الدين وقواعده فإنه لا بأس لو لم نحط بأسماءها وآراءها تفصيلا. ويقال: لا بد أن تبلغ هذه الفرق العدد المذكور فى الحديث، لأن الزمان باق، والتكليف قائم، والخطرات متوقعة، والبدع قد نشأت إلى الآن، ولا تزال تحدث وتكثر مع مرور الأزمنة إلى قيام الساعة. وإلى عدم التعيين مال أبو بكر الطرطوشى. قال الشاطبى: وهو أصح فى النظر لأن ذلك التعيين ليس عليه دليل، والعقل لا يقتضيه . وإن سلمنا أن الدليل قائم له على ذلك فلا ينبغى التعيين لوجوه ثلاثة فذكرها، ثم قال: فمن هنا لا ينبغى للراسخ فى العلم أن يقول: هؤلاء الفرق هم بنو فلان وبنو فلان، وإن كان يعرفهم بعلامتهم بحسب اجتهاده، اللهم إلا فى موطنين: أحدهما حيث نبه الشرع على تعيينهم كالخوارج، فإنه ظهر من استقراءه أنهم متمكنون تحت حديث الفرق، ويجرى مجراهم من سلك سبيلهم، ثم ذكر الأحاديث التى وردت فى تعيين أهل القدر وذمهم، قال: والموطن الثانى الذى يجوز فيه التعيين حيث تكون الفرقة تدعوا إلى ضلالتها وتزينها فى قلوب العوام، ومن لا علم عنده، فإن ضرر هؤلاء على المسلمين كضرر إبليس، وهم من شياطين الإنس، فلا بد من التصريح بأنهم من أهل البدعة والضلالة، ونسبتهم إلى الفرق إذا قامت له الشهود على أنهم منهم.

قال: ولما تبين أنهم أى الفرق المذكورة فى الحديث لا يتعينون فلهم خواص وعلامات يعرفون بها، وهى على قسمين: علامات إجمالية، وعلامات تفصيلية، فأما العلامات الإجمالية فثلاثة: أحدها الفرقة أى التى تكون سببا للتخرب، ومستلزما للعداوة، والبغضاء والتدابر، والقطيعة . والثانية اتباع المتشابه من القرآن، وترك المحكم . والثالثة اتباع الهوى وتقديمه على الأدلة الشرعية، والاعتماد على الرأى، وتحكيم العقل. ثم ذكر ما يعرف به هذه الخواص والعلامات، ومن يرجع إليه فى معرفتها، ثم قال: وأما العلامة التفصيلية فى كل فرقة فقد نبه عليها وأشير إلى جملة منها فى الكتاب والسنة، وفى ظنى أن من تأملها فى

كتاب الله وجد منبها عليها، ومشارا إليها، ولو لا فهمنا من الشرع الستر عليها لكان في الكلام في تعيينها مجال متسع، مدلول عليه بالدليل الشرعي، قال: فأنت ترى أن حديث افتراق الأمة لم يعين في الرواية الصحيحة واحدة منها لهذا المعنى المذكور. والله أعلم . وإنما نبه عليها في الجملة لتحذر مظانها، وعين في الحديث، المحتاج إليه منها، وهي الفرقة الناجية ليتحراها المكلف، وسكت عن ذلك في الرواية الصحيحة لأن ذكرها في الجملة يفيد الأمة الخوف من الوقوع فيها، وذكر في الرواية الأخرى فرقة من الفرق الهالكة، كما قال: أشد الفرق فتنة على الأمة (كلهم في النار) أي يستحقون الدخول في النار من أجل اختلاف العقائد، فمن أفضى به بدعته إلى الكفر يدخل فيها البتة دخولا مؤبدا، ومن لم يكن كذلك فهو ممن يستحق النار إن لم يعف الله عنه، فإن عفا عنه فله العفو إن شاء الله.

(إلا ملة واحدة) بالنصب أي إلا أهل ملة واحدة، أي فلا يدخلون النار من جهة اختلاف العقائد. وقيل: المعنى يدخل أصحاب الملل الضالة النار بسبب بدعهم، ثم يخرجون منها برحمة الله، ويدخلون الجنة إلا أهل ملة واحدة، فلا يدخلون النار أصلا، بل يدخلون الجنة أولا، وهم المتمسكون بالكتاب والسنة، الموافقون لجماعة الصحابة، المجتنبون عن الابتداع في الاعتقاد، والعمل والقول اجتنابا كليا، وإن كان صدر من أحد منهم ذنب غير بدعة، عفا الله عنه برحمته، أو يكون سكرات الموت، أو شدائد القبر، أو أهوال المحشر كفارة له فيدخل الجنة ابتداء.

قال الشاطبي: قوله «كلها في النار» وعيد يدل على أن تلك الفرق قد ارتكبت كل واحدة منها معصية كبيرة، أو ذنبا عظيما لما تقرر فيالأصول أن ما يتوعد عليه الشر فخصوصيته كبيرة، إذ لم يقل «كلها في النار» إلا من جهة الوصف الذي افترقت بسببه عن السواد الأعظم وعن جماعته، وليس ذلك إلا للبدعة المفرقة، إلا أنه ينظر في هذا الوعيد هل هو أبدي أم لا؟ وإذا قلنا إنه غير أبدي هل هو نافذ أم في المشيئة؟ . أما المطلب الأول فينبني على أن بعض البدع مخرجة من الإسلام أو ليست مخرجة، والخلاف في الخوارج وغيرهم من السبائية، والغرابية، والجناحية، ونحوهم المخالفين في العقائد، موجود . فحيث نقول بالتكفير لزم منه تأبيد التحريم على القاعدة، «أن الكفر والشرك لا يغفره الله سبحانه» وإذا

قلنا بعدم التكفير فيحتمل على مذهب أهل السنة أمرين: أحدهما نفوذ الوعيد من غير غفران، ويدل على ذلك ظواهر الأحاديث، وقوله هنا «كلها فى النار» أى مستقرة ثابتة فيها. والثانى أن يكون مقيدا بأن يشاء الله تعالى إصلاءهم فى النار، وإنما حمل قوله «كلها فى النار» على معنى هى ممن يستحق النار. كما قيل فى قوله تعالى: ﴿ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاءه جهنم خالدا فيها – ٤ :٩٣﴾ أى ذلك جزاءه إن لم يعف الله عنه، فإن عفا عنه فله العفو إن شاء الله، لقوله تعالى: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء – ٤٨:٤﴾ فكما أن القائل فى المشيئة وإن لم يكن الاستدراك كذلك يصح أن يقال هنا بمثله – انتهى مختصرا.

وقوله «ملة واحدة» نص فى أن الحق واحد لا يختلف، إذ لو كان للحق فرق أيضا لم يقل: إلا واحدة. ولأن الاختلاف منفى عن الشريعة بإطلاق، لأنها الحاكمة بين المختلفين لقوله تعالى: ﴿فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول – ٤:٥٩﴾ إذ رد التنازع إلى الشريعة، فلو كانت الشريعة تقتضى الخلاف لم يكن فى الرد إليها فائدة . وقوله «فى شىء» نكرة فى سياق الشرط، فهى صيغة من صيغ العموم، فتنتظم كل تنازع على العموم، فالرد فيها لا يكون إلا لأمر واحد فلا يسع أن يكون أهل الحق فرقا، قاله الشاطبى.

(قالوا من هى) أى تلك الملة أى أهلها الناجية (ما أنا عليه وأصحابي) أى هى ما أنا عيه وأصحابي، فسر أهل تلك الملة الواحدة بذلك لأن تعريف أهل الملة حاصل بتعريف ملتهم، وقيل: التقدير أهلها من كان على ما أنا عليه وأصحابى من الاعتقاد، والقول، والعمل. والمراد بهم المهتدون المتمسكون بسنته وسنة الخلفاء الراشدين وغيرهم من الصحابة الذين فهموا أمر دين الله بالتلقى من نبيه مشافهة على علم وبصيرة بمواطن التشريع وقرائن الأحوال. قال الشاطبى: أصل الجواب أن يقال: أنا وأصحابى، ومن عمل مثل عملنا، أو ما أشبه ذلك مما يعطى تعيين الفرقة إما بالإشارة إليها أو بوصف من أوصافها إلا أن ذلك لم يقع، وإنما وقع فى الجواب تعيين الوصف لا تعيين الموصوف، فلذلك أتى بما اتى، فظاهرها الوقوع على غير العاقل من الأوصاف وغيرها، والمراد هنا الأوصاف التى هو عليها ﷺ وأصحابه، فلم يطابق السوال الجواب فى اللفظ، والعذر عن هذا أن العرب لا تلتزم ذلك النوع إذا فهم المعنى لأنهم لما سألوه عن تعيين الفرقة الناجية بين لهم الوصف الذى به صارت ناجية فقال: ما أنا عليه

وأصحابي. ويمكن أن يقال: إن النبي ﷺ لما ذكر الفرق، وذكر أن فيها فرقة ناجية كان السوال عن أعمال الفرقة الناجية لا عن نفس الفرقة، لأن التعريف فيها من حيث هي لا فائدة فيه إلا من جهة أعمالها التي نجت بها، فالمقدم في الاعتبار هو العمل لا العامل، فلو سألوا ما وصفها أو عملها؟ أو ما أشبه ذلك لكان أشد مطابقة في اللفظ والمعنى، فلما فهم عليهم السلام منهم ما قصدوا أجابهم على ذلك: وتقول: لما تركوا السوال عما كان الأولى في حقهم، أتى به جوابا عن سؤالهم حرصا منه عليه السلام على تعليمهم ما ينبغي لهم تعلمه والسؤال عنه ويمكن أن يقال: إن ما سألوا عنه لا يتعين، إذ لا تختص النجاة بمن تقدم دون من تأخر، إذ قد كان قد اتصفوا بوصف التأخير، ومن شأن هذا السوال التعيين، وعدم انحصارهم بزمان أو مكان لا يقتضي التعيين، وانصرف القصد إلى تعيين الوصف الضابط للجميع، وهو ما كان عليه وأصحابه، وهذا الجواب بالنسبة إلينا كالمبهم، وهو بالنسبة إلى السائل معين، لأن أعمالهم كانت للحاضرين معهم رأي عين، فلم يحتج إلى أكثر من ذلك، لأنه غاية التعيين اللائق بمن حضر، فأما غيرهم ممن لم يشاهد أحوالهم ولم ينظر أعمالهم فليس مثلهم، ولا يخرج الجواب بذلك عن التعيين المقصود، والله أعلم.

قال: ولم يعين النبي ﷺ من الفرق إلا واحدة، وإنما تعرض لعدها خاصة، وأشار إلى الفرقة الناجية حين سئل عنها، وإنما وقع ذلك كذلك، ولم يكن الأمر بالعكس لأمور أحدها أن تعيين الفرقة الناجية هو الآكد في البيان بالنسبة إلى تعبد المكلف، والأحق بالذكر، إذ لا يلزم تعيين الفرق الباقية إذا عينت الواحدة، وأيضا لو عينت الفرق كلها إلا هذه الأمة لم يكن بد من بيانها لأن الكلام فيها يقتضي ترك أمور وهي بدع، والترك للشيء لا يقتضي فعل شيء آخر لا ضدا ولا خلافا، فذكر الواحدة هو المفيد على الإطلاق والثاني أن ذلك أوجز لأنه إذا ذكرت نحلة الفرقة الناجية علم على البديهة أن ما سواها مما يخالفها ليس بناج، وحصل التعيين بالاجتهاد بخلاف ما إذا ذكرت الفرق الغير الناجية، فإنه يقتضي شرحا كثيرا، ولا يقتضي في الفرقة الناجية اجتهاد لأن إثبات العبادات التي تكون مخالفتها بدعا لاحظ للعقل في الاجتهاد فيها . والثالث أن ذلك أحرى بالستر . ولو فسرت لناقض ذلك قصد الستر، ففسر ما يحتاج إليه وترك ما لا يحتاج إليه إلا من جهة المخالفة، فللعقل وراء ذلك مرمى تحت اذيال

الستر، فبين النبي ﷺ ذلك بقوله «ما أنا عليه وأصحابي» يعني أن الفرقة الناجية من اتصف بأوصافه عليه السلام، وأوصاف أصحابه، وكان ذلك معلوما عندهم غير خفي، فاكتفى به، وربما يحتاج إلى تفسيره بالنسبة إلى من بعد تلك الأزمان . وحاصل الأمر أن أصحابه كانوا مقتدين به، مهتدين بهديه، وقد جاء مدحهم في القرآن، وأثنى عليهم متبوعهم محمد ﷺ، وإنما خلقه ﷺ القرآن، فالقرآن إنما هو المتبوع على الحقيقة، وجاءت السنة مبينة له، فالمتبع للسنة متبع للقرآن، والصحابة كانوا أولى الناس بذلك، فكل من اقتدى بهم فهو من الفرقة الناجية الداخلة للجنة بفضل الله، وهو معنى «ما أنا عليه وأصحابي» فالكتاب والسنة هو الطريق المستقيم، وما سواهما من الإجماع وغيره فناشيء عنهما، هذا هو الوصف الذى كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، وهو معنى ما جاء في الرواية الأخرى«وهي الجماعة» لأن الجماعة في وقت الإخبار كانوا على ذلك الوصف – انتهى.

قلت: وهو معنى ما جاء في حديث أبي أمامة عند الطبراني: كلهم في النار إلا السواد الأعظم. وأصرح من ذلك ما رواه الطبراني أيضا عن أبي الدرداء وواثلة وأنس بلفظ: كلهم على الضلالة الا السواد الأعظم، قالوا يا رسول الله! من السواد الأعظم ؟ قال: من كان على ما أنا عليه وأصحابي. فالمراد «بالجماعة» و «السواد الأعظم» و «ما أنا عليه وأصحابي» شيء واحد، ولا شك أنهم أهل السنة والجماعة. قال الشيخ الجيلاني في الغنية: وأما الفرقة الناجية فهي أهل السنة والجماعة. قال: وأهل السنة لا اسم لهم إلا اسم واحد، وهو أصحاب الحديث.

وقال الشاه ولي الله الدهلوي: الفرقة الناجية هم الآخذون في العقيدة والعمل جميعا بما ظهر من الكتاب والسنة، وجرى عليه جمهور الصحابة والتابعين، وإن اختلفوا فيما بينهم فيما لم يشتهر فيه نص، ولا ظهر من الصحابة اتفاق عليه، استدلالا منهم ببعض ما هنالك، أو تفسيرا لمجمله، وغير الناجية كل فرقة انتحلت عقيدة خلاف عقيدة السلف، أو عملا دون أعمالهم – انتهى . وقال ابن حزم في الفصل (ج٢: ص١١٣): وأهل السنة الذين نذكرهم أهل الحق، ومن عداهم فأهل البدعة، فإنهم الصحابة وكل من سلك نهجهم من خيار التابعين، ثم أصحاب الحديث، ومن تبعهم من الفقهاء جيلا فجيلا إلى يومنا هذا، ومن اقتدى بهم من العوام في شرق الأرض وغربها – انتهى . قال الشاطبي: ثم إن في تعريف الفرقة

الناجية المذكورة في الحديث نظرا، وذلك أن كل داخل تحت ترجمة الإسلام من سنى ومبتدع مدع أنه هو الذى نال رتبة النجاة ودخل في غمار تلك الفرقة، قال فتعيين هذه الفرقة الناجية في مثل زماننا صعب، ومع ذلك فلا بد من النظر فيه، ثم بسط الكلام في ذلك أشد البسط فارجع إليه (رواه الترمذى) في الإيمان، وحسنه، وفي سنده عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقي، وقد ضعفه الدارقطني وغيره. وقال الحافظ: ضعيف في حفظه، ووثقه يحيى القطان، وقال البخارى: هو متارب الحديث. والظاهر أن الترمذى حسنه لشواهده، فمنها حديث أبي هريرة أخرجه الترمذى، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، والحاكم، وصححه الترمذى، وسكت عنه أبو داود، وأقر المنذرى تصحيح الترمذى، وقال الحاكم (ج١، ص١٢٨): صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

ومنها حديث أنس أخرجه أحمد (ج ٣، ص: ١١٢٠) وابن ماجه، قال البوصيري في الزوائد: اسناده صحيح، رجاله ثقات، ورواه أبو يعلى في مسنده مطولا من طريقين في أحدهما أبو معشر نجيح، وفيه ضعف، وفي الآخر يزيد الرقاشي، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (ج ٦، ص ٢٢٦)، ضعفه الجمهور، وفيه توثيق لين، وبقية رجاله رجال الصحيح. ورواه الطبراني في الصغير مختصرا . قال الهيثمي (ج١: ١٨٩): وفيه عبد الله بن سفيان، قال العقيلي: لا يتابع على حديثه. هذا، وقد ذكره ابن حبان في الثقات ومنها حديث عوف بن مالك، أخرجه ابن ماجه. قال البوصيرى: في سنده مقال، وراشد بن سعد، قال فيه أبوحاتم: صدوق، وعباد بن يوسف، لم يخرج له سوى ابن ماجه، وليس له عنده سوى هذا الحديث. وقال ابن عدى: روى أحاديث تفردبها، وذكره ابن حبان في الثقات، وباقي رجال الإسناد ثقات – انتهى كلام البوصيرى. قلت: راشد بن سعد الحمصي ثقة، وثقه ابن معين، وأبوحاتم، والعجلي، ويعقوب بن شيبة، والنسائي، وابن سعد. وقال أحمد: لا بأس به. وقال يحيى بن سعد: هو أحب إلى من مكحول. وقال الدارقطني: لا بأس به إذا لم يحدث عنه متروك. وعباد بن يوسف الكرابيسي، قال عثمان بن محمد: حدثنا إبراهيم بن العلاء: ثنا عباد بن يوسف صاحب الكرابيس ثقة. وقال في التقريب: مقبول. فالحديث لا ينحط عن درجة الحسن، بل هو صحيح، وأخرجه الحاكم (ج٤:ص٤٣٠) من طريق آخر ، وقال صحيح

على شرط الشيخين، وسكت عليه الذهبي. ومنها حديث معاوية بن أبي سفيان، ومنها حديث أبي أمامة، أخرجه الطبراني في الأوسط والكبير، وفيه أبو غالب، وثقه ابن معين وغيره، وبقية رجال الأوسط ثقات، وكذلك أحد إسنادي الكبير، قاله الهيثمي (ج٦، ص٢٥٨، ٢٥٩) . ومنها حديث أبي الدرداء، وواثلة بن الأسقع، أخرجه الطبراني أيضا، وفي إسناده كثير بن ودان، وهو ضعيف جدا، قاله الهيثمي (ج٦، ص٢٥٩) ومنها حديث عمرو بن عوف، عزاه الهيثمي (ج٦، ص٢٦٠) للطبراني، وقال: فيه كثير بن عبد الله، وهو ضعيف، وقد حسن الترمذي له حديثا، وبقية رجاله ثقات. ومنها حديث سعد بن أبي وقاص، أخرجه البزار . قال الهيثمي (ج٦، ص٢٥٩): وفيه موسى بن عبيدة الربذي، وهو ضعيف.

ومنها حديث ابن عمر، أخرجه أبويعلى، وفي سنده ليث بن أبي سليم، وهو مدلس، وبقية رجاله ثقات، قاله الهيثمي (ج٦، ص ٢٥٩) ومنها حديث ابن مسعود، وحديث علي موقوفا عليهما، ذكرهما الشاطبي في الاعتصام (ج٢، ص٢١١) وقال: لا اضمن عهدة صحتهما، وذكر علي المتقي في الكنز (ج١: ص٩٦) حديثا مرفوعا عن علي، وعزاه لابن النجار.

وقد ظهر بما ذكرنا من الكلام في أحاديث هؤلاء الصحابة أن بعضها صحيح، وبعضها حسن، وبعضا ضعيف، وتحصل منه أن حديث افتراق الأمة صحيح من غير شك، فلا يعبأ بقول ابن حزم في الفصل (ج٣: ص١٣٨): إن هذا الحديث لا يصح عن طريق الإسناد. وأيضا نفي الصحة لا يلزم منه ثبوت الضعف أو الوضع، فيمكن أن يراد به نفي الصحة مع ثبوت الحسن رتبة بين الصحيح والضعيف، وكذا لا يدل قول المجد صاحب القاموس في آخر سفر السعادة: أنه لم يثبت فيه شيء. على ثبوت العدم أو الضعف، لاحتمال أن يراد بالثبوت الصحة، فلا ينتفي الحسن، وعلى التنزل فيقدم تصحيح الترمذي والحاكم ومن وافقهما على قول ابن حزم والمجد .

(مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح
للشيخ أبي الحسن عبيد الله الرحماني المباركفوري رحمه الله
١ / ٢٦٩ – ٢٧٧)

● ● ●

بحوث ودراسات

تاريخ التطرف والغلو الديني

(٢)

فضيلة الشيخ علي بن عبد العزيز بن علي الشبل
المدرس بقسم العقيدة
بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بالرياض

(٢) معنى التطرف:

التطرف هو تفعل – بتشديد العين – من طرف يطرف طرفا بالتحريك، وهو الأخذ بأحد الطرفين والميل لهما: إما الطرف الأدنى أو الأقصى (١)، ومنه أطلقوه على الناحية وطائفة الشيء.

ومفهوم التطرف فى العرف الدارج – فى هذا الزمان – يطلق على الغلو فى عقيدة أو فكرة أو مذهب أو غيره، ولهذا لا يختص به دين أو جماعة أو حزب .

ولهذا فالتطرف يوصف به طوائف من اليهود ومن النصارى، فثمة أحزاب يمينية متطرفة أو يسارية متطرفة. فقد وصفت بالتطرف الدينى والحركى والسياسى .

ووصف الغلو بالتطرف له وجه المسوغ له بأخذ أحد الطرفين، كما قال الأول:

لا تغل فى شيء من الأمر واقتصد
كلا طرفى قصد الأمور ذميـــــم

ولكن الوصف الشرعى للتشدد فى الدين والغلو فيه يجب أن يكون مرجعه إلى الشرع نفسه لا اصطلاح الناس ومفاهيمهم واطلاقاتهم. فوصف الغلو والغلاة والمغالى هو الوصف الشرعى، كما دل عليه حديث ابن عباس رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال فى الحج:

"أمثال هؤلاء فارموا، وإياكم والغلو فى الدين ، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو فى

(١) "القاموس المحيط" و "شرحه تاج العروس" و "لسان العرب" و "معجم مقاييس اللغة"، و "الصحاح" و "المصباح المنير" مادة (طرف) .

الدين" رواه أحمد وابن ماجة والحاكم وصححه . (١)

(٣) ☆ معنى الإرهاب

وهو أيضا مصدر مأخوذ من رهب كعلم يرهب رهبا ورهبانا وأرهابا بالفتح والكسر، وهو الإخافة والتخويف (٢) .

حيث يدور معنى الإرهاب على شدة الخوف والتخويف إن كان على الفرد أو على الجماعة وهو فى حقيقته وحكمه نوعان:

(١) – إرهاب مشروع بصريح القرآن فى آية الأنفال فى قوله تعالى: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم﴾ (الأنفال : ٦٠ – ٦١) .

فإن إخافة العدو الكافر المعاند لدعوة الله بالجهاد فى سبيل الله وإرجافه بالعدة والقوة من مقاصد الجهاد الإسلامى، ليكف شره، وينتهى عن ظلمه، ولعله أن يهتدى إلى دين الله عز وجل . وهذا الحكم خاص بالمحاربين من الكفار أو البغاة.

(٢) – إرهاب غير مشروع، بل هو محرم وممنوع، وهو فى تخويف الآمنين بإرهابهم وإدخال الرعب والفزع فيهم، سواء كانوا مسلمين أو مستأمنين أو معاهدين أو أهل ذمة أو غيرهم من الكافرين غير المحاربين ، فهو على المسلمين حرابة وعلى غيرهم ظلم! وهو فى الجميع إفساد فى الأرض ما جاء النهي صريحا فى القرآن والسنة وفى إجماع العلماء .

فمناط ذلك على الظلم، حيث تخويف الآمن وإرهابه ظلم واعتداء، وهو محرم بإجماع الملل والشرائع السماوية. فقد روى الإمام أحمد وغيره بإسناد صحيح عن أبى ذر رضى الله عنه يرفعه إلى النبى ﷺ أنه قال: قال الله عز وجل:

---

(١) مضى تخريجه فى أول التمهيد.

(٢) انظر "القاموس" و "شرحه تاج العروس" ، و "لسان العرب"، و "الصحاح" و "المصباح المنير" ، و "معجم مقاييس اللغة" . مادة (رهب)

"يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا".

وفى صريح القرآن قوله تعالى من سورة يونس ﴿إن الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون﴾ (يونس: ٤٤) وقوله فى سورة الممتحنة: ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين﴾(الممتحنة: ٨).

هذا فضلا عما ورد من أدلة شريفة فى وجوب الوفاء بالعهد وايتاء الوعد، وتحريم قتل النفس بغير حق، وتحريم قتل المرأة والوليد والراهب والشيخ الكبير من الكفار.

☆ **تحديد مصطلح الإرهاب المعاصر**:

وقد صدر فى تحديده بيان عن مجمع الفقه الإسلامى فى رابطة العالم الإسلامى بمكة فى دورته السادس عشرة، المنعقدة فى شوال من عام ١٤٢٣هـ بمكة المكرمة، حيث حددوا الإرهاب بتحديد سبقوا به جهات عالمية عديدة غالطت فى معناه ودلالاته، وجاء فى بيانهم أن:

"الإرهاب هو العدوان الذى يمارسه أفراد أو جماعات أو دول بغيا على الإنسان فى دينه، ودمه، وعقله، وماله، وعرضه، ويشمل صنوف التخويف والأذى والتهديد والقتل بغير حق، وما يتصل بصور الحرابة وإخافة السبيل وقطع الطريق، وكل فعل من أفعال العنف أو التهديد يقع تنفيذا لمشروع إجرامى فردى أو جماعى، ويهدف إلى إلغاء الرعب بين الناس، أو ترويعهم بإيذاء هم، أو تعريض حياتهم، أو حريتهم، أو أمنهم، للخطر، ومن صنوفه إلحاق الضرر بالبيئة أو بأحد مرافق أو الأملاك العامة أو الخاصة، أو تعريض أحد الموارد الوطنية، أو الطبيعية للخطر.

فكل هذا من صور الفساد فى الأرض التى نهى الله سبحانه تعالى المسلمين عنها قال تعالى: ﴿ولا تبغ الفساد فى الأرض إن الله لا يحب المفسدين﴾(القصص : ٧٧) ...... (١)

(١) ينظر البيان الصادر من مجمع الفقه الإسلامى برابطة العالم الإسلامى بمكة فى دورته ١٦، المنشور فى وسائل الأعلام المقروء ة والمسموعة والمرئية .

(٤) ☆ **معنى العنف**:

بالرجوع إلى المعاجم اللغوية فى مادة العنف وجد أنها مثلثة العين : بالرفع والفتح والكسر وهو ضد الرفق. وهو الشديد فى القول والفعل .

وحقيقة العنف أنه نتيجة وثمرة للغلو والتطرف والإرهاب الممنوع، فى الشدة فى قول أو رأى أو فعل أو حال! وهو ما يولد ما يسمى بالعنف العقدى، والعنف العلمى والعنف الفكرى فى الرأى والفهم والتصور!

(٥) ☆ **العلاقة بين الغلو والتطرف والإفراط ونحوهما** :

الغلو فى الحقيقة أعلى مراتب الإفراط فى الجملة . فالغلو فى الكفن مثلا هو المغالاة فى ثمنه والإفراط فيه .

والغلو أخص من التطرف: إذ إن التطرف هو مجاوزة الحد، والبعد عن التوسط والاعتدال إفراطا أو تفريطا، أو بعبارة أخرى: سلبا أو إيجابا، زيادة أو نقصا، سواء كان غلوا أم لا، إذ العبرة ببلوغ طرفى الأمر، وهو الغلو فى قول القائل :

لا تغل فى شيء من الأمر واقتصد
كلا طـــــرفى قصد الأمور ذميم

فالغلو أخص من التطرف باعتبار مجاوزة الحد الطبيعى فى الزيادة والنقص ، فى حال النقص يسمى غلوا إذا بالغ فى النقص، فيقال غلا فى النقص، كما فى قول اليهود جفاء فى حق المسيح ابن مريم عليهما الصلاة والسلام. وكذلك فى الزيادة إذا بالغ فيها كقول النصارى فى المسيح ابن مريم غلوا .

والتطرف: الانحياز إلى طرفى الأمر، فيشمل الغلو، لكن الغلو أخص منه فى الزيادة والمجاوزة، ليس فقط بمجرد البعد عن الوسط إلى الأطراف.

أو بمعنى آخر: كل غلو فهو تطرف، وليس كل تطرف غلوا.

(٦)☆ **الفرق بين الاستقامة والغلو والتطرف والإرهاب**:

فى الواقع لا تلازم بين التمسك بالنصوص والغلو: فقد كان الصحابة رضى الله عنهم أشد الناس تمسكا واقتضاء لنصوص الشريعة، ومع هذا لم يحصل منهم غلو أو تشديد، خلا فى قضايا عينية فى حياة النبى ﷺ أرشد عليه الصلاة والسلام أصحابه إليها (١) وعلمهم وبين لهم طريق العبادة المعتدل، فانتهوا .

وسببه هو موافقة هذا الاستمساك منهم رضى الله عنهم لعلم صحيح، وفهم سليم، وهمة حريصة على العلم والبصيرة، فنجوا من الغلو فضلا عن الاستمرار فيه، لكن لما بعد الناس عن زمان الأفاضل، وصار الدين غريبا ، وأطبق الجهل على كثير من أهل الإسلام، صار المتمسك بسنة المصطفى ﷺ العاض عليها بنواجذه منبوذا مستهزءا به فى تلك المجتمعات، وأطلقوا عليه عبارات النبز كالمتزمتين والغالين والمتطرفين والأصوليين والإرهابيين ... ونحوها من الألقاب التى روجتها بعض وسائل الإعلام عن أعداء الإسلام !

والواقع أن التمسك بنصوص الكتاب والسنة ، وفهمها فهما صحيحا يعتبر عند هؤلاء المتهاونين بأحكام الشريعة الغافلين عنها، غلوا وتطرفا، وذلك بالنظر إلى ماهم عليه من تفريط ظاهر، وقصور فى إظهار منهج الإسلام ، جلى ملموس .

ولنأخذ مثالا يوضح ما سبق : فدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية اتهمت من كثير من الناس علماء وغيرهم – بتكفير الناس – الذى هو مظهر من مظاهر الغلو البارزة – أو أنهم خوارج ...... ونحوها من ألقاب تفيد مجاوزة اعتدال الإسلام وسماحته ينبزونهم

---

(١) كما فى خبر عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه فى إطالة الصوم ، المتفق على صحتها، رواها البخارى فى كتاب فضائل القرآن، باب كم يقرأ من القرآن ، ومسلم فى كتاب الصيام، باب النهى عن صوم الدهر لمن تضرر به، رقم (١١٥٩)، وحديث عبد الله بن الشخير فى وفد بنى عامر وفيه "فقلنا: أنت سيدنا. فقال: السيد الله تبارك وتعالى" . فقلنا : وأفضلنا فضلا وأعظمنا طولا فقال: "قولوا بقولكم أو ببعض قولكم ولا يستجرينكم الشيطان" رواه أبو داود والنسائى بأسانيد جيدة. وما قوله عليه السلام ذلك إلا سدا لطريق الغلو فيه ، انظر: فتح المجيد ٥١٧.

بألفاظ هى فى الشريعة وصف لأقوام متشددين لافقه لهم ولا نظر (١) وهى من ذلك براء براء ة الذئب من دم يوسف عليه السلام، لكن ما حيلة من شرق بها إلا ذلك .

والملاحظ أن المتمسكين بمدلولات النصوص الشرعية يكونون غلاة متشددين بنسبتهم إلى المفرطين الذين يحملون الإسلام وصفا ، وعند نسبتهم إلى ميزان الشريعة لا عندهم معنى التمسك المطلوب، وهو الاستقامة على أحكام الكتاب والسنة .

فالمقصرون يلمزون المتمسكين بالغلو والتطرف والإرهاب أو التشدد، على أن ما هم عليه هو اعتدال الإسلام وتوسطه، وما أظهروه هو الاعتدال، وهو فى الحقيقة ليس كذلك: إذ هو التقصير والتفريط فى بعض شعائر الإسلام وأحكامه أما الاعتدال والتوسط فهو فى دين الله ومنهاج دينه، ولا يخفى أن من يتهم البعض بالتطرف أو الغلو ونحوهما، غايته التنفير والتحذير منهم وليس لكونهم متجاوزين لحدود الشريعة ووسطية الإسلام، كما هو الحال فيمن اتهم دعوة الشيخ السلفية الإصلاحية بذلك !

أعنى أن هذا الدعاوى ليست من باب الأسماء والأحكام، أو لتبين معانى شرعية – بقدر ما هى لأغراض وأهواء ذاتية أو محدودة . فتكون بذلك من تحميل مصطلحات الشارع ما لا تحتمل، ومن استعمال المعانى الشرعية فى الأغراض الشخصية الضيقة والغايات السياسية المحدودة ! .

☆☆☆

(١) انظر الشبهات التى أثيرت حول دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب – وفيها بحث د . عبد الرحمن عميرة وغيره فى : أسبوع الشيخ محمد . المجلد الثانى. وكذا "دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب" للدكتور العبد اللطيف .

دروس وعبر

إطالة العمر

(٢ – ٢)

محمد بن إبراهيم النعيم

والحصيلة التى يجب أن نخرج بها من هذا الخلاف فى مفهوم إطالة العمر سواء كانت على الحقيقة أم المجاز، أن يكون هدفنا فى اطالة أعمارنا هو لاستغلال ساعات العمر وثوانيه وتوظيفه لكسب مزيد من الحسنات. وأما الذى يطول عمره ويسوء عمله فهو من شر الناس كما جاء عن النبى ﷺ فى حديث أبى بكرة رضى الله عنه السابق. (١)

قال الدكتور يوسف القرضاوى: "والحق أن العمر الحقيقى للانسان ليس هو السنين التى يقضيها من يوم الولادة الى يوم الوفاة. إنما عمره الحقيقى بقدر ما يكتب له فى رصيده عند الله من عمل الصالحات وفعل الخيرات. ولا غرو أن تجد انسانا يعمر أكثر من مائة سنة ولكن رصيده من تقوى الله ونفع عباده صفر أو ما دون الصفر، أي: أن رصيده مدين، اذا تحدثنا بلغة المصارف. وقد يموت انسان آخر شابا ولكن رصيده فى سنيه القلائل بعد سن التكليف حافل عامر بجلائل الأعمال. يقول صاحب الحكم: رب عمر اتسعت آماده وقلت أمداده، ورب عمر قليلة آماده كثيرة أمداده. مَن بورك له فى عمره أدرك فى يسير من الزمن منن الله تعالى ما لا يدخل تحت دوائر العبارة ولا تلحقه الاشارة" أ هـ (٢).

هل يجوز الدعاء بطول العمر؟

هذا مما أشكل على العلماء – رحمهم الله تعالى – وجعلهم يختلفون على قولين فمنهم المانع ومنهم المبيح.

- فأما المانعون لذلك، فقد استدلوا بما روته أم حبيبة رضى الله عنها زوج النبى

(١) راجع حاشية رقم (٣).

(٢) الوقت فى حياة المسلم للدكتور يوسف القرضاوى (صفحة ٥٥)، وقال مثل هذا المعنى ابن قيم الجوزية فى الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (فصل: المعاصي تمحق بركة العمر).

ﷺ أنها قالت: اللهم أمتعني بزوجى رسول الله ﷺ، وبأبي أبى سفيان وبأخى معاوية، قال: فقال النبى ﷺ: قد سألت الله لآجال مضروبة، وأيام معدودة وأرزاق مقسومة. لن يعجل شيئا منها قبل حله، أو يؤخر شيئا عن حله، ولو كنت سألت الله أن يعيذك من عذاب فى النار أو عذاب فى القبر كان خيرا وأفضل ...... " (١).

رأى النووى رحمه الله تعالى من هذا الحديث أنه لا يستحب الدعاء بطول العمر، فقال فى تعليقه على هذا الحديث: "فإن قيل ما الحكمة فى نهيها عن الدعاء بالزيادة فى الأجل لأنه مفروغ منه، وندبها الى الدعاء بالاستعاذة من العذاب مع أنه مفروغ منه أيضا كالأجل ؟ فالجواب أن الجميع مفروغ منه ولكن الدعاء بالنجاة من عذاب النار ومن عذاب القبر ونحوهما عبادة، وقد أمر الشرع بالعبادات، فقيل: أفلا نتّكل على كتابنا وما سبق لنا من القدر؟ فقال: اعملوا فكل ميسر لما خلق له، وأما الدعاء بطول العمر فليس عبادة. وكما لا يحسن ترك الصلاة والصوم والذكر اتكالا على القدر، فكذا الدعاء بالنجاة من النار ونحوه والله أعلم" أهـ (٢).

وروى سفيان الثورى رحمه الله تعالى أن رجلا، قال لعمر بن عبد العزيز: أبقاك الله، قال: قد فرغ من هذا فادع لى بالصلاح. (٣) ونقل بكر أبو زيد قول السفارينى فى حكم قول "أبقاك الله" فقال: قال: الخلال فى الآداب كراهية قوله فى السلام: أبقاك الله. أخبرنا عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل قال: رأيت أبى إذا دُعى له بالبقاء يكرهه. ويقول: هذا شىء قد فرغ منه. وذكر شيخ الاسلام قدّس الله روحه: أنه يكره ذلك، وأنه نص عليه أحمد وغيره من الأئمة. واحتج له بحديث أم حبيبة (وذكر الحديث) .. إلخ أ هـ (٤)

(١) رواه الإمام أحمد – الفتح الربانى – فى أبواب عذاب القبر باب ما جاء فى عذاب القبر والتعوذ منه (١٢٢/٨)، ومسلم واللفظ له فى كتاب القدر باب بيان أن الآجال والأرزاق وغيرها لا تزيد ولا تنقص عما سبق به القدر (٢١٢/١٦)، وابن أبي عاصم فى السنة (١١٦/١).

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (٢١٣/١٦).

(٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبى نعيم (٣٩٢/٦).

(٤) معجم المناهي اللفظية لبكر أبو زيد (صفحة ٢٠)، وذكر ذلك ابن مفلح المقدسي فى كتابه الآداب الشرعية (٤٠٩/١).

وعقد الإمام النووى رحمه الله تعالى فى الأذكار النووية فصلا عن حكم قول "أطال الله بقاء ك"، فقال فيه: الأشهر أنه يكره أن يقال أطال الله بقاء ك. قال أبو جعفر النحاس فى كتابه صناعة الكتاب: كره بعض العلماء قوله "أطال الله بقاء ك" ورخص فيه بعضهم، قال اسماعيل بن اسحاق: أول من كتب "أطال الله بقاء ك" الزنادقة، ورُوى عن حماد بن سلمة رضى الله عنه أن مكاتبة المسلمين كانت: من فلان الى فلان. أما بعد سلام عليك فإنى أحمد [إليك] الله الذى لا اله الا هو، وأسأله أن يصلى على محمد وعلى آل محمد، ثم أحدثت الزنادقة هذه المكاتبات التى أولها أطال الله بقاء ك أه (١). الا أن ابن علان علّق على كلام النووى فقال: نازع الأذرعى فى اطلاق الكراهة واختار أن الدعاء بذلك لأهل الدين والعلم وولاة العدل قربة، ولغيرهم مكروه بل حرام أه (٢).

● وأما المبيحون فيرى ابن حجر رحمه الله تعالى جواز الدعاء بطول العمر للحديث الذى رواه الامام البخارى فى صحيحه عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قالت أمى: يا رسول الله، خادمك أنس ادع الله له. قال "اللهم أكثر ماله وولده، وبارك له فيما أعطيته" (٣). وهذا الحديث رواه البخارى ومسلم والترمذى بلفظ ليس فيه طول العمر. ولكن بوّب له البخارى بابا بلفظ: باب دعوة النبى ﷺ لخادمه بطول العمر وبكثرة ماله، وعلل ابن حجر هذا التبويب للبخارى على الرغم من عدم وجود حديث صريح بالدعاء بطول العمر سوى ما جاء فى الأدب المفرد، فقال فى تعليله: "فقال بعض الشراح: مطابقة الحديث للترجمة أن الدعاء بكثرة الولد يستلزم حصول طول العمر، وتعقب بأنه لا ملازمة بينهما الا بنوع من المجاز بأن يراد أن كثرة الولد فى العادة تستدعى بقاء ذكر الوالد ما بقي أولاده، فكأنه حي.

---

(١) الأذكار النووية (صفحة ٥٧٠).

(٢) الفتوحات الربانية على الأذكار النووية (٧/١٢٢).

(٣) رواه البخارى فى الدعوات باب دعوة النبى ﷺ لخادمه بطول العمر وبكثرة الولد (١١/١٤٩)، وباب قوله تعالى ﴿وصل عليهم﴾ (١١/١٤٠)، وباب الدعاء بكثرة المال والولد مع البركة (١١/١٨٦)، وباب الدعاء بكثرة الولد مع البركة (١١/١٨٦)، وفى الصوم باب من زار قوما فلم يفطر عندهم (٤/٢٦٨)، ومسلم فى فضائل الصحابة باب فضل أنس بن مالك (١٦/٣٩)، والترمذي في المناقب باب مناقب أنس بن مالك (١٣/٢٢٣).

والأولى فى الجواب أنه أشار كعادته الى ما ورد فى بعض طرقه، فأخرج فى "الأدب المفرد" من وجه آخر عن أنس قال: "قالت أم سليم – وهى أم أنس – خويدمك الا تدعو له؟ فقال: اللهم أكثر ماله وولده وأطل حياته واغفر له" (١)، فأما كثرة ولد أنس وماله فوقع عند مسلم فى آخر هذا الحديث من طريق إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة عن أنس: قال أنس "فوالله إن مالي لكثير وإن ولدي وولد ولدى ليتعادون على نحو المائة اليوم" ...... الخ أهـ (٢). وذكر في موضع آخر أن من فوائد الحديث: الدعاء بكثرة المال والولد وأن ذلك لا ينافي الخير الأخروى. (٣)

وروى أبو عمر الضرير عن أبى عوانة، قال: دخلت على همام بن يحيى وهو مريض أعوده، فقال لى: يا أبا عوانة ادع الله أن لا يميتنى حتى يبلغ ولدي الصغار، فقلت: ان الأجل قد فُرغ منه، فقال لى: أنت بعد فى ضلالك. قلت: بئس المقال هذا، بل كل شيء بقدر سابق، ولكن وإن كان الأجل فُرغ منه، فإن الدعاء بطول البقاء قد صح. دعا الرسول ﷺ لخادمه أنس بطول العمر، والله يمحو ما يشاء ويثبت. فقد يكون طول العمر فى علم الله مشروطا بدعاء مجاب، كما أن طيران العمر قد يكون بأسباب جعلها من جور وعسف، و "لا يرد القضاء الا الدعاء"، والكتاب الأول فلا يتغير أهـ (٤).

ونقل بكر أبو زيد كلام أبى هلال العسكرى عن حكم قول: "أطال الله بقاء ك" فقال: "إن أول من خاطب بهذا اللفظ هو عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقال: حدّث علي بن حرب الموصلى يرفعه الى عبيد بن رفاعة عن أبيه قال: جلس علي على السلام والزبير وسعد فى جماعة الى عمر رضى الله عنه فتذاكروا العزل فقال: لا بأس به. فقال رجل: أنتم تزعمون أنه

(١) رواه البخارى فى الأدب المفرد واللفظ له (٦٥٣)، وصححه الألبانى فى صحيح الأدب المفرد (٥٠٨)، ورواه الطبرانى فى الكبير (٧١٠)، والبخارى ومسلم والترمذى كلهم بلفظ ليس فيه طول العمر.

(٢) فتح البارى بشرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلانى (١١/١٤٩/ح٦٣٤٤) باب دعوة النبى ﷺ لخادمه بطول العمر وبكثرة الولد.

(٣) المصدر السابق (٤/٢٧٠/ح١٩٨٢).

(٤) نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء (٢/٦٣٣).

الموؤدة الصغرى. فقال علي رضى الله عنه لا يكون موؤدة حتى تمر بالتارات السبع، يكون سلالة من طين ثم نطفةثم علقة ثم مضغة ثم عظما ولحما ثم خلقا آخر. فقال عمر رضى الله عنه: صدقت أطال الله بقاء ك. فجرى من يومئذ أ هـ (١).

وقال الألبانى عند تعليقه على حديث أنس: ففيه جواز الدعاء للانسان بطول العمر، كما هى العادة فى بعض البلاد العربية خلافا لقول بعض العلماء، ويؤيده أنه لا فرق بينه وبين الدعاء بالسعادة ونحوها، إذ إن كل ذلك مقدر، فتأمل أ هـ (٢).

وسُئل فضيلة الشيخ محمد بن العثيمين عن حكم قول "أطال الله بقاء ك، طال عمرك"؟

فأجاب قائلا: لا ينبغى أن يُطلق القول بطول البقاء، لأن طول البقاء قد يكون خيرا وقد يكون شرا فإن شر الناس من طال عمره وساء عمله، وعلى هذا فلو قال أطال الله بقاء ك على طاعته ونحوه فلا بأس بذلك أ هـ (٣).

هذا وسألت فضيلة الشيخ عطية سالم حين زيارته للاحساء عن تصريح الامام النووى بالنهى عن الدعاء بطول العمر وبسطت له خلاف أهل العلم فى ذلك. فقال لى ما نصه: (أقول: ليس فى الحديث لفظ نهي. وإنما فيه إرشاد لما هو أفضل وخير، وكلا اللفظين "أفضل وخير" أفعل تفضيل لأن خير أصله: أخير. حذفت الألف للتخفيف ومثلها "شر" لكثرة الاستعمال. وأفعل التفضيل صيغة تدل على أن أمرين اشتركا فى معنى وزاد أحدهما على الآخر مثل قولك: زيد أطول من عمرو. وعليه ففى الحديث تقرير لها على طلبها ولكن وجهها الى ما هو خير وأفضل. ولو لم يكن جائزا لقال لها بصريح العبارة: لا تطلبي ذلك، ولم يفعله. وهذا فى نظرى مثل التى مر عليها وهى تسبح وتعد بالنوى ثم عاد فوجدها على ما هى عليه

(١) معجم المناهي اللفظية لبكر أبو زيد (صفحة ٤٩)، وانظر الآداب الشرعية لابن مفلح (١/٤١٤).

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة (٥/٢٨٨).

(٣) المناهي اللفظية للشيخ محمد بن صالح العثيمين (صفحة ٩-١٠)، وكتاب المجموع الثمين من فتاوى فضيلة الشيخ محمد العثيمين (٢/٢٢٥).

تسبح وتعد. فقال لها: أما زلتي على ذلك؟ لقد قلت كلمات أربع خير مما قلت: سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته. فهو لم ينهها عن العد بالنوى هذا الكثير، ولكن أرشدها الى ما هو خير منه مع اختصار الوقت وقلة العمل. وهكذا هنا "لو كنت سألت الله ...... لكان خيرا وأفضل". إذا فالكل خير وفاضل، ولكن ما أرشدها اليه أخير وأفضل. وعليه فلا دلالة فى الحديث على النهى الذى بنوا المنع عليه. ثم إن المنع عن هذا الدعاء سيفتح باب ترك الدعاء فيما هو من شأنه أنه مقدر ومفروغ منه. والحال أنه لا يخرج أي موضوع يدعى به عن أنه مقدر مفروغ منه: سعة الرزق، كثرة الولد الواردين فى حديث أنس بالاتفاق مفروغ منهما. ومثلهما: "طول العمر" الذى ذكروا الاختلاف فى روايته فسواء ثبت أم لا فلا يختلف عن طلب زيادة الرزق والولد وبالله التوفيق أ هـ.

من هذا نخرج بأن الدعاء بطول العمر مباح لدعاء رسول الله ﷺ لخادمه أنس وإنما الأفضل والمستحب تركه وأن يقتصر الدعاء بالنجاة من عذاب القبر ومن عذاب النار وبالفوز بالجنة وما أشبه ذلك، وهو ما حث عليه رسول الله ﷺ زوجه أم حبيبة رضى الله عنها. وأن من رغب الدعاء بطول العمر أو بشيء له تعلق بالدنيا ينبغي أن يضم إلى دعائه طلب البركة فيه، والصيانة ونحوهما، كما ذكر ذلك النووى رحمه الله تعالى (١) وأكّده الشيخ ابن عثيمين، وأن يتمثل حرصه على هذه الإطالة أيضا بأعمال البر التى حث عليها الشرع، والله أعلم.



(١) قال النووى فى شرحه على صحيح مسلم تعليقا على حديث أنس رضى الله عنه: وفيه فضائل لأنس، وفيه دليل لمن يفضل الغني على الفقير، ومن قال بتفصيل الفقير أجاب عن هذا بأن هذا قد دعا له النبي ﷺ بأن يبارك له فيه، ومتى بورك فيه لم يكن فتنة ولم يحصل بسببه ضرر ولا تقصير فى حق ولا غير ذلك من الآفات التى تتطرق الى سائر الأغنياء بخلاف غيره، وفيه هذا الأدب البديع وهو أنه إذا دعا بشيء له تعلق بالدنيا ينبغي أن يضم إلى دعائه طلب البركة فيه والصيانة ونحوها أهـ (١٦/ ٤٠).

بحوث ودراسات

المفـتـي
في الشريعة الإسلامية وتطبيقاته في هذا العصر

(٢)

الدكتور عبد العزيز بن عبد الرحمن بن علي الربيعة

شروط المفتى

يشترط العلماء فى المفتي بمعناه الاصطلاحى – الذي رجحناه فيما مضى – شروطا كثيرة، وأهمها ما يأتي:

١ - الإسلام:

فلا يمكن لأحد أن يتبوأ منصب الإفتاء إلا حين يكون مسلما، وهذا الشرط مما أجمع الناس عليه (١)، إذ أنه يخبر عن الله، وينوب عن رسوله ﷺ، ويتلقى الناس ما يقوله على أنه دين الله تعالى، ولا يتصف بذلك إلا من كان مسلما.

٢ - التكليف:

وذلك بأن يكون المتولّي لهذا المنصب بالغا عاقلا، وهذا الشرط مما أُجمِعَ عليه أيضا(٢). فإن الصبي لا حكم لقوله في مثل هذا، والمجنون مرفوع عنه القلم، فلا يتسنى له أن يحتل مكانة الإفتاء.

٣ - العلم:

وهو شرط أساسي لمن تقَلَّد هذا المنصب، إذ أنه مبلغ عن الله أحكامه، ولايبلغ عنه من جهل أحكامه (٣).

(١) أحمد بن حمدان الحراني، صفة الفتوى والمفتي والمستفتي، دمشق، نشر المكتب الإسلامى، ط أولى، ص١٣.

(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٣) الغزالي، المستصفى، مصر، مطبعة مصطفى محمد، سنة ١٣٥٦ هـ، ١٢٥/٢، والآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، الرياض، مطبعة مؤسسة النور، ط أولى، ٢٣٢/٤.

ولهذا يروي الخطيب البغدادي (المتوفى (سنة ٤٦٢ هـ) بسنده (١) أن رسول الله ﷺ قال: "من أفتى بغير علم لعنته الملائكة".

ويروى أيضا (٢) أن رسول الله ﷺ قال: "من أفتى بفتيا بغير ثبت، فإنما إثمه على من أفتاه".

٤ - العدالة فى الأقوال والأفعال:

وذلك بأن يكون مستقيما في أحواله، محافظا على مروء ته، صادقا فيما يقوله، موثوقا به، ويفسر لنا الشيخ "أحمد بن حمدان الحراني الحنبلي" (٣) (المتوفى سنة ٦٩٥ هـ) المتصف بالعدالة، فيقول: "والعدل من استمر على فعل الواجب والمندوب والصدق وترك الحرام والمكروه والكذب، مع حفظ مروء ته ومجانبة الريب والتهم .... ".

وهذا الشرط قد دل عليه الإجماع، حيث إن المفتي يخبر عن الله تعالى بحكمه، ولا يكون ذلك إلا لمن اتصف بالعدالة (٤)، ثم إن "علماء المسلمين لم يختلفوا في أن الفاسق غير مقبول الفتوى في أحكام الدين، وإن كان بصيرا بها" كما صرح بذلك الخطيب البغدادي (٥).

وأما حين تظهر عليه صفة "العدالة"، لكن باطنه مجهول في ذلك، فلعلمائنا (رحمهم الله) قولان في وصفه بالعدالة أو عدم وصفه بها (٦) أظهرهما عدم وصفه بها (٧).

٥ - حسن الطريقة، وسلامة المسلك، ورضا السيرة:

فلابدَّ لمن تقلّد هذا المنصب أن يتصف بذلك، فيكون حسن الطريقة، سليم المسلك، مرضي السيرة، حتى يثق الناس بأقواله، ويقبلوا ما يقوله لهم، حيث إنهم يتلقون منه أمورا هي أعظم شيء في نفوسهم، وهي أحكام الدين، ومن المعلوم أنهم لا يتلقون ذلك إلا ممن تحرَّوا فيه هذه الأوصاف.

---

(١) الفقيه والمتفقه، مطابع القصيم، ١٣٨٩ هـ، ٢/١٥٥.
(٢) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.
(٣) صفة الفتوى والمفتي والمستفتي ص ١٣.
(٤) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.
(٥) الفقيه والمتفقه ٢/١٥٧.
(٦) صفة الفتوى والمفتي والمستفتي ص١٣، وابن قدامة، روضة الناظر، القاهرة، المطبعة السلفية، سنة ١٣٧٨هـ، ص ٢٠٦.
(٧) صفة الفتوى والمفتي والمستفتي ص ١٣.

وأما من لا يتحلى بها، فهم يعرضون عنه مهما كانت درجته الكبرى فى الناحية العلمية.

لذلك نرى الإمام القرافي (المتوفى سنة ٦٨٤ هـ) يؤكد هذا الشرط ويوضحه أتم إيضاح، حيث يقول (١): "وينبغي للمفتي أن يكون ...... حسن السيرة ...... ويقصد بجميع ذلك التوسل إلى تنفيذ الحق وهداية الخلق، فتصير هذه الأمور كلها قربات عظيمة، وإليه الإشارة بقوله (تعالى) حكاية عن إبراهيم (عليه السلام): ﴿واجعل لي لسان صدق فى الآخرين﴾ (٢). قال العلماء: معناه، ثناء جميل، حتى يقتدي بي الناس ......".

٦ - الورع والعفة عن كل ما يخدش الكرامة، والحرص على استطابة المأكل:

فحريّ بمن انتصب لهذا الأمر العظيم ألا يقوم به حق القيام إلا حين يكون متصفا بالورع، جاعلا نصوص الوعيد والتهديد لمن خالف أوامر الله بين عينيه، وحريٌّ به ألا يقوم به حق القيام إلا حين يكون عفيفا عما في أيدي الناس، وعما يُعتبر فى عرفهم من صفات الدناء ة والضعة، وإلا حين يكون حريصا أشد الحرص على أن يكون مكسبه حلالا، وطرق معاملته مع الناس قائمة في أصولها وفروعها على وفق منهج الله، وفي حدود ما رسمه في شرعه، وأن يكون مأكله حلالا خالصا، بأن يكون قد عرف طرق حصوله وأيقن بحلها، فهذه صفات لابد من حصولها فى المفتي كي يوفق في أداء رسالته، إذ أن من لا يتورع عن الشبهات، ولا يعف عما في أيدي الناس، ولا يرعى العرف في تقويم الأمور وتنزيلها منازلها، من حيث الإقدام عليها، أو الإحجام عنها، ولا يحرص على أن يكون ما يتناوله طيبا وحلالا خالصا، إن من لا يرعى ذلك كله حريٌّ به ألا يوفق فيما يفتي به، وألا يصيب حكم الله فيما يسأل عنه، وألا يسمع منه حين يفتي، ولا يستجاب لقوله حين يقول.

ولهذا نرى الخطيب البغدادي يؤكد اشتراط هذه المعاني، فيقول في معرض ذكره لما يشترط في المفتي (٣): "وينبغى أن يكون المفتي ...... حريصا على استطابة مأكله، فإن ذلك أول أسباب التوفيق، متورعا عن الشبهات".

---

(١) الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرفات القاضى والإمام، ت عبدالفتاح أبوغدة، حلب، نشر مكتب المطبوعات الإسلامية، سنة ١٣٨٧ هـ، ص ٢٧١.

(٢) القرآن الكريم، سورة الشعراء آية ٨٤.

(٣) الفقيه والمتفقه ٢ / ١٥٨.

ويتابعه القرافي (رحمه الله) في ذلك، فيقول (١): "...... وأن يكون (المفتي) قليل الطمع، كثير الورع، فما أفلح مستكثر من الدنيا، ومعظم أهلها وحطامها".

٧ - رصانة الفكر وجودة الملاحظة، والتأنى فى الفتوى، والتثبت فيما يفتى به:

فهذه صفات يلزم وجودها فيمن يتصدى للفتيا، إذ أن من كان ناقصا في فهمه، أو متصفا بالغفلة، أو معروفا بالعجلة في فتواه والتسرع بالإجابة عما يسأل عنه – دون أن يتثبت من ذلك – إذ أن من كانت أوصافه كذلك، قد فقد أول أسباب التوفيق، وحرىّ بمن فقد أولها ألا يحالفه الحظ فى جدان آخر، وألا ينال في آخر المطاف غايته التي قصدها. (٢)

٨ - طلب المشورة من ذوى الدين والعلم والرأى:

وهذا شرط مأخوذ من عمومات الشريعة فى غير موضوع الفتوى، ومما درج عليه السلف الصالح فيها، حيث كانوا يستشيرون حين تعرض لهم المشكلة، أو يسألون عنها.

ودليل ما نقوله، أن الله (سبحانه وتعالى) أثنى على المؤمنين، حيث كان أمرهم شورى بينهم، وأمر نبيّه ﷺ بأن يشاورهم في الأمر، وما كان من شأن عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) حيث كانت المسألة تنزل عليه، فيستشير فيها من حضر من الصحابة، بل ربما جمعهم وشاورهم، حتى كان يشاور ابن عباس (رضي الله عنهما) وهو إذ ذاك أحدث القوم سنا.

وينبغي أن يُعلم أن هذا الشرط مقيد بما إذا "لم يعارضه مفسدة، من إفشاء سر السائل، أو تعريضه للأذى، أو مفسدة لبعض الحاضرين" (٣)، فإنه إن عارضه ذلك، فلا ينبغي أن يرتكب، دفعا لتلك المفاسد.

٩ - رؤيته لنفسه بأنه أهل لهذا المنصب، وشهادة الناس له بالأهلية له:

فهذا شرط يورثه اليقين بصلاحيته للفتيا فيمضي فيها، ويُرشِّحه فى نظر العامة لهذا المقام، فيقدمون عليه يتلقون عنه أحكام دينهم، وما لم يُعَزَّز الإنسان بهذين الوصفين، فلن يكون صالحا لِتَبَوُّإ هذا المنصب، ولن يكون موثوقا بما يفتي به، ولا مقبولا عند العامة في

(١) الإحكام فى تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرفات القاضي والإمام ص ٢٧٤.

(٢) الخطيب البغدادي، الفقيه والمتفقه ٢/١٥٨.

(٣) ابن القيم، إعلام الموقعين ٤/٢٥٧.

سماع ما يقوله لهم في أمر دينهم.

ولمالك بن أنس (رحمه الله) نصوص تدل لذلك.

فقد ذكر القرافي عنه (١) أنه قال: "لا ينبغي للعالم أن يفتي حتى يراه الناس أهلا لذلك، ويرى هو نفسه أهلا لذلك، يريد تثبت أهليته عند العلماء، ويكون هو بيقين مطلعا على ما قاله العلماء في حقه من الأهلية، لأنه قد يظهر من الإنسان أمر على ضد ما هو عليه، فإذا كان مطلعا على ما وصفه به الناس، حصل اليقين في ذلك، وما أفتى مالك حتى أجازه أربعون محنكا". (٢)

كما روى الخطيب البغدادى (٣) بسنده، أن مالك بن أنس يقول: "ما أفتيت حتى شهد لي سبعون أني أهل لذلك".

وروى (٤) بسنده أيضا إلى خلف بن عمر – صديق كان لمالك – قال: "سمعت مالكا يقول: ما أجبت في الفتوى حتى سألت من هو أعلم مني: هل تراني موضعا لذلك؟ سألت ربيعة، وسألت يحيى بن سعيد، فأمراني بذلك، فقلت له: يا أبا عبد الله، لو نهوك ؟ قال: كنت أنتهى، لا ينبغى لرجل أن يرى نفسه أهلا لشئ حتى يسأل من هو أعلم منه".

أمور ينبغى للمفتى أن يتفطن لها

هناك أمور كثيرة ينبغى لمن تقلد منصب الإفتاء أن يتفطن لها، وأن يأخذ نفسه بها، إذ هي لا تقل أهمية عما ذكرناه من الأمور التي تشترط له كي يتقلد هذا المنصب العظيم.

ومن العسير جدا أن نُلمَّ بها في بحث كهذا – في قصره –، ولكن حسبنا من ذلك معظمها، مما نرى أنه يحتل المكانة الكبرى بالنسبة لغيره.

ومن هنا يمكننا أن نلخصها فيما يأتى:

١ – جمال المظهر وحسن الزى على الطريقة التى تتناسب مع الوضع الشرعى:

وإنما كان هذا الأمر مطلوبا، لأن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده، ولأن الخلق

(١) الفروق، مطبعة دار إحياء الكتب العربية، ط أولى، سنة ١٣٤٤هـ ٢ /١١٠.

(٢) لأن التحنك هو شعار العلماء (انظر المصدر نفسه، والصفحة نفسها).

(٣) الفقيه والمتفقه ٢ / ١٥٤. (٤) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

مجبولون على تعظيم الصور الظاهرة، والمفتي مطلوب منه أن يعمل ما يجعله عظيما في قلوب العامة حتى يقتدوا به، ويستنيروا بأقواله.

ولهذا كان اتصافه بهذا الأمر قربة لله ينال بها الثواب حيث قصد بذلك التوسل إلى تنفيذ الحق وهداية الخلق (١).

ولهذا قال عمر (رضي الله عنه): "أحب إليّ أن أنظر القارىء أبيض الثياب. أى ليعظم في نفوس الناس، فيعظم في نفوسهم ما لديه من الحق". (٢)

ويدخل في هذا الأمر اتصافه بالسكينة والوقار، وظهوره بمظهر الاحتشام والأدب، فإن ذلك مما يؤدي إلى أن "يرغب المستمع في قبول ما يقول" (٣) ومما يكون سببا فيما يقصده من وصول القول الحق إلى العامة وعملهم به.

٢ - البداء ة بالنفس فى كل خير يفتى به:

فذلك أمرٌ مطلوب من المفتى، إذ هو علامة صدقه في فتواه، وهو السبيل لوضع البركة في قوله، وتيسير قبوله في نفوس مستمعيه (٤).

ولذا نجد القرآن يعتبر فى الصدق مطابقة القول للفعل، وفي الكذب مخالفته له.

وذلك كقول الله تعالى: ﴿رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾ (٥).

ويقول تعالى: ﴿ومنهم ما عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين، فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون، فأعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه، وبما كانوا يكذبون﴾ (٦).

وقد سلك الرسول ﷺ هذا المسلك، فجاء ت أقواله مطابقة لأفعاله، وسيرته ممتلئة بالشواهد لذلك.

ومنها ما أخرجه "مسلم" من أن "عمر بن أبي سلمة" سأل النبى ﷺ عن تقبيل الصائم.

(١) القرافي، الإحكام ص ٢٧١. (٢) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(٣) الآمدي، الإحكام فى أصول الأحكام ٤/ ٢٢٢.

(٤) ينظر الشاطبي، الموافقات ٤/ ٢٥٢–٢٥٣، والقرافي، الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام، في أماكن متفرقة.

(٥) القرآن الكريم، سورة الأحزاب آية ٢٣. (٦) المصدر نفسه، سورة التوبة، آية ٧٥ – ٧٧.

فقال له: "سل هذه (لأم سلمة) فأخبرته أن رسول الله ﷺ يفعل ذلك، فقال: يا رسول الله! قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر.

فقال له: والله إني لأتقاكم لله وأخشاكم له". (١)

وروى مسلم أيضا أنه ﷺ لما نهى عن الربا في خطبة حجة الوداع، قال: "وأول ربا أضعه ربا العباس بن عبدالمطلب".

وروى الخمسة (٢) أنه ﷺ قال – حين شُفع عنده في حد السرقة –: "وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت، لقطعت يدها".

فهذا منه ﷺ ظاهر فى المحافظة على مطابقة القول للفعل بالنسبة إليه وإلى قرابته، وهكذا ينبغى لمن تصدّى لأحكام الله من الناس.

كما جاء الشرع ذاما للفاعل بخلاف ما يقول، فقال الله تعالى: ﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم﴾ (٣).

وقال أيضا: ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون، كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾ (٤).

ومما ينبغي التنبيه إليه، أن هذا الأمر يعتبر وجوده أكمل فى انتفاع المستفتي، وقبوله لما يقوله المفتي.

وليس معناه أنه لابد من وجوده من أجل صحة الفتوى من الناحية الشرعية، اللهم إلا إذا سقطت درجة المفتي إلى مرحلة الفسق، فإنه حينئذ لا تقبل فتواه، لاختلال شرط العدالة فيه.

ولهذا يقول الشاطبي (المتوفى سنة ٧٩٠ ه) في ذلك (٥): "والمراد بما سقنا من عدم مخالفة المفتي لما يفتي به، أن هذا أكمل في الانتفاع، ولا يعني هذا عدم صحة الفتوى من الناحية الشرعية، ما لم ينحطَّ المفتي إلى رتبة الفسق بالمخالفة".

(١) أبوالبركات ابن تيمية، منتقى الأخبار، باب "الرخصة فى القبلة للصائم إلا لمن يخاف على نفسه".

(٢) ابن الديبع، تيسير الوصول الى جامع الأصول، باب "حد السرقة".

(٣) القرآن الكريم، سورة البقرة آية ٤٤. (٤) المصدر نفسه، سورة الصف آية ٢–٣.

(٥) الموافقات ٤/٢٥٦.

٣ - معرفة أحوال الناس والتفطن لتصرفاتهم، واليقظة التامة للطرق التى يسلكونها:

وذلك لينكشف للمفتي مكر بعض المستفتين وخداعهم، فلا يغتر بظواهر ما يدلون به فيفتيهم تبعا لها، كما ينبغي له أن يسلك الطريق المستقيم، فيفتي في القضية حيث ظهر له أنه جوابها، دون أن يسلك طريقا معوجا، يحتال به على إسقاط واجب، أو تحليل محرم، فإن ذلك مكر وخداع، وقد عاقب الله من فعل ذلك أشد العقاب، وأحل عليهم لعنته، وتوعَّدهم بالنار.

فقد قال تعالى: ﴿ومكروا مكرا، ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون، فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمّرناهم وقومهم أجمعين﴾ (١).

وفي صحيح مسلم عن النبي ﷺ أنه قال: "ملعون من ضار مسلما أو مكر به".

وقال: "لا ترتكبوا ما ارتكبت اليهود فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل".

وقال: "المكر والخديعة فى النار".

٤ - الكف عن النظر فى الفتوى حينما يكون مع المستفتى فتوى قد كتبها من لا يصلح لذلك:

وعدم الكتابة معه حينما يكون الأمر كذلك، ولو كان جواب المفتى له صحيحا، إذ أن فى الكتابة معه – والحالة هذه – تقريرا لصنيعه، وتساهلا عظيما فى شأن الفتوى، حيث يتصدى لها ناقص العلم أو الدين أو غيرهما مما يشترط في المفتي (٢).

٥ - النظر فى السؤال والسائل قبل الفتوى، وعقد المقارنة بين مستوى السؤال – من الناحية العلمية – ومستوى السائل:

فإن كان السائل على مستوى السؤال، أجابه المفتي بما يراه الحق.

وإن كان السؤال أعلى مستوى من مستوى السائل من الناحية العلمية، حيث يكون من العوام، أو يكون السؤال من المعضلات، أو من دقائق الأمور، أو متشابه الآيات، ونحو ذلك

(١) القرآن الكريم، سورة النمل، آية ٥٠–٥١.

(٢) ينظر القرافي، الإحكام ص ٢٦٦.

مما لا يخوض فيه إلا أكابر العلماء (١)، فينبغى للمفتي أن ينظر في حال المستفتي: هل هذا السؤال منه نتيجة شبهة عرضت له، يريد إزالتها، أو أن ذلك نتيجة ترف فكري وفراغ وقتي جعلاه يتأمل في أشياء ليس هو من أهلها ؟

فإن كان الأول، وجب على المفتي أن يقبل على مستفتيه ويتلطف معه، ويحاول بقدر ما أمكنه أن يزيل ما اشتبه عليه، وإن كان الثاني فينبغى له أن يمتنع عن إجابته، بل ينبغي له أن ينكر عليه سؤاله، ويوجهه نحو ما ينفعه، ويقول له: "اشتغل بما يعنيك من السؤال عن صلاتك وأمور معاملاتك ولا تخض فيما عساه يهلكك، لعدم استعدادك له". (٢)

٦ - الشعور بالافتقار الى الله (سبحانه) فى إلهام الصواب، والدعاء بما يناسب:

فينبغى للمفتي أن ينبعث من قلبه شعور صحيح بالافتقار إلى الله في أن يلهمه الصواب، ويُوَفِّقه لطريق الخير، ويهديه للجواب الصحيح.

وحَرِيٌّ بمن اتصف بذلك أن يوفقه الله في مراده، وأن يدله على طريق الخير، كما ينبغي له – أيضا – أن يدعو بما يناسب المقام.

ومن ذلك الحديث الصحيح:

"اللهم رب جبرائيل ومكائيل واسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا يختلفون، اهدنى لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم".

وقد كان ابن تيمية (المتوفى سنة ٧٢٨ هـ رحمه الله) كثير الدعاء بذلك، وكان إذا أشكلت عليه المسائل يقول: "يا معلم ابراهيم علِّمنى ......". (٣)

٧ - مراعاة العرف والعادة، إذ أن اختلافهما له أثر فى اختلاف الحكم (٤):

وهذا يُوجب على المفتي أن يسأل – أول ما يسأل – المستفتي – حين يجهل بلده – عنها، وعن عرف أهلها في مثل هذا اللفظ، وعلى ضوء ذلك يجيب عما سأله "وهذا السؤال من

(١) ينظر أمثلة لذلك في تعليق الشيخ "عبدالفتاح أبوغدة" على القرافي، الإحكام، ص ٢٨٣.

(٢) القرافي، الإحكام ص ٢٨٣.

(٣) ابن القيم، إعلام الموقعين ٢٥٧/٤.

(٤) القرافي، الإحكام ص ٢٤٩.

المفتي) أمرٌ متعين واجب لا يختلف فيه العلماء، وأن العادتين متى كانتا فى بلدين ليستا سواء، أن حكمهما ليس سواء". (١)

وأما حين يكون اللفظ صريحا فى مدلوله من جهة اللغة، فقد اختلف العلماء في مراعاة العرف في ذلك، حيث يكون له مدلول غير مدلول اللغة.

فقيل: يقدم المدلول اللغوي للفظ.

وقيل يقدم العرف عليه.

وقد رجح الإمام القرافي (٢) تقديم العرف قائلا: "والصحيح تقديمه، لأنه ناسخ، والناسخ مقدم على المنسوخ إجماعا، فكذلك ههنا".

٨ - التَرَيُّث فى الفتوى حين يشتمل اللفظ على بعض الملابسات التى تجعل المفتى يغلب على ظنه أن صيغة السؤال لا تُعَبِّر عن حقيقة الواقع تماما:

وذلك كان يكون السائل عامِّيا لا يدري مدلول اللفظ، فتجده يطلق اللفظ الصريح على غير مدلوله، ويأتي باللفظ الخاص على مدلول عام.

فينبغي للمفتي إذا غلب على ظنه أن مثل ذلك لا يقع له، أن يتأنى في شأن الفتيا حتى يتفقد قرائن أحوال المستفتي، وحتى ينكشف له واقع الحال، فيفتيه فى ضوء ما تبين له، لا فى حدود ما أطلقه من لفظ.

وإن لم يصل المفتي إلى كشف الواقع، فلا يحل له أن يفتيه (٣).

ومن الملابسات التى تجعل المفتي يغلب على ظنه أن صيغة السؤال لا تُعبِّر عن حقيقة الواقع، أن يكون المسئول عنه ما مثله لا يُسأل عنه، فالغالب على الظن حينئذ أنه يقصد بالسؤال أمر لو صُرِّح به، لامتنعت الفتيا به، ولهذا ينبغي للمفتي أن يتأنى في الفتيا، ويستكشف حال المستفتي ويبحث عن حقيقة سؤاله.

ويروي لنا القرافي (٤) قصة حصلت له، تُمثل ذلك أتمَّ التمثيل، فيقول: "ولقد سئلت

(١) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.
(٢) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.
(٣) المصدر نفسه ص ٢٤٤، ٢٤٦، ٢٥٢.
(٤) المصدر نفسه، ص ٢٥٢، ٢٥٣.

مرة عن عقد النكاح بالقاهرة: هل يجوز أم لا؟ فارتبت وقلت له: ما أفتيك حتى تُبيِّن لي: ما المقصود بهذا الكلام؟ فإن كل أحد يعلم أن عقد النكاح بالقاهرة جائز، فلم أزل به حتى قال: إنا أردنا أن نعقده خارج القاهرة فمنعنا، لأنه استحلال، فجئنا للقاهرة (فعقدناه)، فقلت له: هذا لا يجوز بالقاهرة، ولا بغيرها".

٩ - النصح والشفقة على المستفتي:

ولذلك صور كثيرة، ووجوه متعددة، إلا أن أبرزها دلالته على الأمر المباح، وتوجيهه للطريق المستقيم، وذلك حين يستفتي عن أمر محرم فيمنعه المفتي منه وحاجته تدعوه إليه، ومصلحته تستدعي أن يكون مباحا تناوله.

فمن تمام النصح والشفقة على المستفتي، أن يدله المفتي على الأمر المباح، الذي يكون عوضا على الممنوع، وقائما فى سد الحاجة مقام ذلك المحرم.

وهو حين يسلك هذا المسلك، يكون مثله مثل طبيب الأبدان: يحمي العليل مما يضره، ويصف له ما ينفعه.

وقد جاء ت أقوال الرسول ﷺ وأحكامه بهذا.

ففي الصحيح أنه ﷺ قال: "ما بعث الله من نبي إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينهاهم عن شر ما يعلمه لهم".

كما يروي البخاري أنه ﷺ منع عامله على خيبر من شراء الصاع من التمر الجيد بالصاعين من الرديء، ثم دلَّه على الطريق المباح، فقال: "بع الجمع بالدراهم، ثم اشتر بالدراهم جنيبا".

وكان العلماء (رحمهم الله) يسلكون ذلك الطريق، ويتحرونه في فتاويهم "ومن تأمل فتاوى ابن تيمية، وجد ذلك ظاهرا فيها" (١).

١٠ - مراعاة الحكم الشرعي الذي يتفق مع مقاصد الشريعة، وحملُ المستفتي على الأخذ به:

ومعلوم أن الذى يتفق مع مقاصد الشريعة، ما كان من الأحكام جاريا على المعهود

(١) ابن القيم، إعلام الموقعين ٤/١٥٩.

والوسط بين الشدة والخفة، فلا يحمل المستفتي على الشديد، ولا يفتح له باب الخفة المفضي إلى التحلل من أحكام الشرع.

ودليل قولنا، أن من تتبع الشريعة في مصادرها ومواردها، وجدها تنحو المنحى الوسط في الأمور، وتقصد الاعتدال في كل ما يقوم به المكلفون من أعمال، فالخروج عن ذلك إلى التشديد والتخفيف المفرطين، خروج عن مقصد الشريعة.

ثم إن ذلك مفهوم من أمر رسول الله ﷺ وأصحابه (رضي الله عنهم).

والوقـائع الصحيحـة التي وصلت إلينـا أخبارها مما لا يحصيه العَدُّ، تدل على صحة ما ذكر.

ومن ذلك ما رواه البخاري وأحمد ومسلم من "أنه ﷺ ردَّ على عثمان بن مظعون التبتل". (١)

وما رواه البخاري ومسلم وأبوداود والنسائي من "أنه ﷺ قال لمعاذ: أ فتَّان أنت يا معاذ".

وما رواه البخاري من أنه ﷺ قال: "إن منكم منفرين".

وما رواه البخاري (٢) من أنه ﷺ قال: "سددوا وقاربوا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة".

إلى غير ذلك مما يدل على أن الشريعة، قد بُنيت على القصد والاعتدال، وروعي فيها اجتناب التشديد، أو التخفيف الذي يؤدي إلى التحلل من أحكام الإسلام.

ولما تقدم "كان ما خرج عن المذهب الوسط مذموما عند العلماء الراسخين". (٣)

(يتبع)

+++

---

(١) أبو البركات ابن تيمية، منتقى الأخبار، كتاب النكاح.

(٢) الصحيح، كتاب الإيمان.

(٣) الشاطبي، الموافقات ٤/ ٢٥٨.

التشريع الاسلامى

الغنى والفقر

الدكتور طلعت عفيفى

يقول رب العزة: ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا﴾ (الكهف: ٤٦) وقال: ﴿زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب﴾ (آل عمران: ١٤)

ويقول سبحانه: ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم، يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون﴾ (التوبة: ٣٤، ٣٥).

ويقول عز وجل: ﴿وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن أكثر الناس لا يعلمون وما أموالكم ولا أولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم فى الغرفات آمنون﴾ (سبا: ٣٥-٣٧).

١ - لا ينكر أحد ما للمال من أهمية تلقى بظلالها على حياة الأفراد والمجتمعات، فضرورات الفرد وكمالياته لا تتم الا بالمال وشئون الجماعة المختلفة لا تقوم الا عليه، ولذا قيل: "المال عصب الحياة" وقال الشاعر:

بالعلم والمال يبنى الناس ملكهم
لـم يبن ملك على جهـل وإقــلال

ويقول التابعى الجليل سعيد بن المسيب رضى الله عنه: "لا خير فيمن لا يعنى بالمال، يقضى به دينه، ويصون به عرضه، ويصل به رحمه".

وعلى مستوى الشعوب فطنت بعض الفئات - وعلى رأسهم اليهود - إلى أهمية المال فى تحقيق السيطرة والهيمنة على الآخرين، فعملوا على أن تكون لهم اليد الطولى على بقية

الشعوب فى امتلاكه.

ومما يذكر فى هذا المجال قول ماركس فيلسوف الشيوعية: "إن اليهودى الذى لا يحسب له حساب فى فيينا (عاصمة النمسا) هو الذى يقرر بقوة المال مصير النمسا كلها، واليهودى الذى يكون فى أصغر الولايات الألمانية محروما من الحقوق هو الذى يقرر مصير أوربا بأجمعها".

٢ – وإذا كانت للمال كل هذه الأهمية فليس بغريب أن يحتفى الاسلام به، وهو الدين الذى ينشد القوة والعزة لأتباعه يقول رب العزة – مشيرا الى أهمية المال –: ﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا﴾ (النساء: ٥) أي: لا يحصل قيامكم ولا معاشكم الا به.

ويقول تعالى مشيرا الى أن المال أساس في التمتع بزينة الدنيا التى أتاحها لنا بشرط عدم طغيانها على العمل للآخرة: ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا﴾ (الكهف: ٤٦) وقال: ﴿زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب﴾ (آل عمران: ١٤) وقد قال ربنا فى آية أخرى فى شأن الزينة : ﴿قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة﴾ (الأعراف: ٣٢).

بل يصل احتفاء الاسلام بالمال أن الله تعالى جعله مظهرا من مظاهر امتنانه على خلقه، ييسر لهم الحصول عليه، والبركة فيه إن هم أطاعوه، فيقول تعالى على لسان نبيه نوح عليه السلام: ﴿فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا﴾ (نوح: ١٠–١٢).

وفى الحديث الذى رواه البخارى وغيره "من سره أن يبسط له فى رزقه وينسأ له فى أثره فليصل رحمه".

ومن هنا تسقط كل الدعاوى التى تزعم بأن الاسلام يكره المال، سواء قالها مسلم جاهل، أم كافر مغرض ليبعد المسلمين عن دوائر المال فتسهل سيطرة أعدائهم عليهم.

٣ – والمتأمل فى حياة أصحاب النبى ﷺ يجد كثيرين منهم كانوا أغنياء، وأنهم وظفوا ثرواتهم لخدمة دين الله تعالى، فنالوا بذلك سعادة الدنيا وكرامة الآخرة، ومن هؤلاء الصحابة أبوبكر وعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وغيرهم.

يقول الحافظ ابن حجر فى كتابه فتح البارى: "دعوى أن جمهور الصحابة كانوا على التقلل والزهد ممنوعة بالمشهور من أحوالهم، فإنهم كانوا على قسمين بعد أن فتحت عليهم الفتوح، فمنهم من أبقى ما بيده من التقرب إلى ربه بالبر والصلة والمواساة مع الاتصاف بغنى النفس، ومنهم من استمر على ما كان عليه قبل ذلك، فكان لا يبقى شيئا مما فتح عليه به، وهو قليل بالنسبة للطائفة الأخرى، ومن تبحر فى سير السلف علم صحة ذلك، فأخبارهم فى ذلك لا تحصى".

٤ – فإن أقبل العبد على اكتساب المال، وأدى حق الله عليه فيه، وقام بصرفه فى وجوه الخير المشروعة، فهذا فضل يذكر لله تعالى فيشكر، وفى الحديث الذى رواه الإمام أحمد: "نعم المال الصالح للرجل الصالح". وقد رغب الاسلام فى كثير من الآيات فى استثمار المال للتجارة به مع الله، وبيان أن هذا طريق المؤمنين المؤدي بهم إلى الفوز فى الدنيا والفلاح فى الآخرة.

يقول رب العزة: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾ (التوبة: ١١١)

وقال سبحانه: ﴿إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله انه غفور شكور﴾ (فاطر: ٢٩–٣٠).

وقال عز من قائل: ﴿هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون، يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك

الفوز العظيم﴾ (الصف: ٩–١٢)

٥ – أما إذا تحول المال لدى صاحبه الى هدف يقصد لذاته، وانكبّ على جمعه دون رعاية لله فى مصدره ومصرفه، واحتبسه دون أن يؤدى حقوق الله فيه فهذا داء وبيل، وشر مستطير.

يقول رب العزة: ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون﴾ (التوبة: ٣٤، ٣٥)

وفى الحديث الذى رواه الشيخان: "من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مُثّل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان (أى ثعبانا كثير السم له نكتتان سوداوان فوق عينيه، يطوقه يوم القيامة، ثم يأخذ بلهزمتيه (يعنى شدقيه) ثم يقول: أنا كنزك، أنا مالك، ثم تلا هذه الآية: ﴿ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ولله ميراث السماوات والأرض والله بما تعملون خبير﴾ (آل عمران: ١٨٠)

٦ – وتعلمنا السنة أن كثرة المال أو قلته ليست هى المقياس الذى يحكم به على الشخص بأنه غنى أوفقير، ففى الحديث الذى رواه الشيخان: "ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس".

وفى الحديث الذى رواه مسلم فى صحيحه: "أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: "إن المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتى وقد شتم هذا وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار".

وكلا الحديثين يتناول الغنى والفقر بعيدا عما تعارف عليه الناس من النظر إلى كثرة المال أو قلته، ويجعل المحك الحقيقى هو السمو بالنفس إلى معالى الأمور، والدفع بها عن دناياها.

٧ – ومن هنا عاب الله تعالى على من ارتكن الى كثرة ماله، وحسب أنه سبيل عزته وكرامته.

يقول تعالى: ﴿ويل لكل همزة لمزة الذى جمع مالا وعدده يحسب أن ماله أخلده كلا

لينبذن فى الحطمة ......﴾ (الهمزة: ١–٤).

وقال تعالى: ﴿ذرنى ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا ومهدت له تمهيدا ثم يطمع أن أزيد كلا انه كان لآياتنا عنيدا﴾ (المدثر: ١١–١٦)

وقال سبحانه: ﴿وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن أكثر الناس لا يعلمون وما أموالكم ولا أولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى الا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم فى الغرفات آمنون﴾ (سبأ: ٣٥–٣٧).

٨ – إن الرضا بما قسم الله، والتطلع الى ما لديه من ثواب فى الآخرة هو الغنى الحقيقى، أما التنافس على الدنيا والتطلع إلى تحصيل المزيد منها فهذا هو الفقر بعينه، وإن جمع صاحبه من المال مثل ما جمع قارون.

يقول الإمام ابن القيم فى كتابه: (طريق الهجرتين، وباب السعادتين): "الغنى قسمان: غنى سافل وغنى عال، فالغنى السافل الغنى بالعوارى المستردة من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث، وهذا أضعف الغنى، فإنه غنى بظل زائل، وعارية ترجع عن قريب إلى أربابها، فإذا الفقر بأجمعه بعد ذهابها، وكأن الغنى بها كان صالحا فانقضى، ولا همة أضعف من همة من رضى بهذا الغنى الذى هو ظل زائل، وهذا غنى أرباب الدنيا الذى فيه يتنافسون، وإياه يطلبون، وحوله يحومون.

والغنى العالى هو الغنى بالله تعالى، فإن الغني انما يصير غنيا بحصول ما يسد فاقته، ويدفع حاجته، وفى القلب فاقة عظيمة وحاجة شديدة لا يسدها الا فوزه بحصول الغنى الحميد، الذى إن حصل للعبد حصل له كل شىء وإن فاته فاته كل شىء، فكما أنه سبحانه الغني على الحقيقة – ولا غني سواه – فالغنى به هو الغنى فى الحقيقة، ولا غنى بغيره البتة أ. هـ بتصرف، وقال أيضا: إن فى القلب فاقة لا يسدها الا محبة الله والإنابة إليه ودوام ذكره وصدق الإخلاص له، ولو أعطى الدنيا وما فيها، لم تسد تلك الفاقة أبدا".

(مع الشكر لمجلة التبيان المصرية)

+++

آداب إسلامية:

آداب الجنازة

(٦) الشيخ لطف الحق المرشدآبادى
المدرس بجامعة شمس الهدى السلفية، جاركند

٦٤ – وتشرع زيارة القبور للاتعاظ بها وتذكر الآخرة، شريطة أن لا يقول عندها ما يغضب الرب سبحانه وتعالى، كدعاء المقبور والاستغاثة به من دون الله تعالى، أو تزكيته، والقطع له بالجنة، ونحو ذلك. فقد روى عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها، فإنها تزهد فى الدنيا وتذكر الآخرة". (١)

٦٥ – لا بأس بزيارة النساء القبور إذا لم تأت بما لا يجوز من الصراخ والتبرج والنياحة، لعموم قول النبى ﷺ "فزوروا القبور" فيدخل فيه النساء.

ولحديث أنس قال: مر النبى ﷺ بامرأة تبكى عندقبر فقال: اتقى الله واصبرى الخ .

ولحديث عائشة قالت: كيف أقول يا رسول الله، تعنى اذا زارت القبور. قال: قولى السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين. الحديث. (٢)

قال القارى فى المرقاة ما لفظه:هذه الأحاديث بتعليلاتها تدل على أن النساء كالرجال فى حكم الزيارة إذا زرن بالشروط المعتبرة فى حقهن، وأما خبر: لعن الله زوارات القبور "فمحمول على زيارتهن لمحرم كالنوح وغيره مما اعتدنه" . انتهى. (٣)

وأما الأحاديث التى وردت بكراهية زيارة القبول للنساء فهي محمولة على زيارتهن لمحرم كالنياحة والتبرج وغيره.

قال الألبانى: لكن لا يجوز لهن الإكثار من زيارة القبور والتردد عليها،لأن ذلك قد

(١) رواه ابن ماجه

(٢) راه مسلم

(٣) تحفة الأحوذى : ٤ ⁄ ١٣٧

يفضى بهن إلى مخالفة الشريعة، من مثل الصياح والتبرج، واتخاذ القبور مجالس للنزهة، وتضييع الوقت فى الكلام الفارغ، كما هو مشاهد اليوم فى بعض البلاد الإسلامية، وهذا هو المراد – ان شاء الله – بالحديث المشهور: "لعن رسول الله ﷺ (وفى لفظ: لعن الله) زوارات القبور". (١)

٦٦ – يجوز زيارة قبر من مات على غير الإسلام للعبرة فقط، لحديث أبى هريرة وغيره: زار النبى ﷺ قبر أمه،فبكى وأبكى من حوله، فقال: استأذنت ربى فى أن أستغفر لها فلم يؤذن لى، واستأذنته فى أن أزور قبرها فأذن لى، فزوروا القبورفإنها تذكر الموت". (٢)

٦٧ – ومن آداب زيارة القبور عدم قراءة سورة أو آية من القرآن، لعدم ورود حديث عن النبى ﷺ فى ذلك،فعلى الزائر الاجتناب من قراءة سورة أو آية من القرآن عند ما زار المقابر.

قال الألبانى: وأما قراءة القرآن عند زيارتها، فمما لا أصل له فى السنة، بل الأحاديث المذكورة فى المسألة السابقة تشعر بعدم مشروعيتها، إذ لو كانت مشروعة، لفعلها رسول الله ﷺ وعلمها أصحابه، لا سيما وقد سألته عائشة رضى الله عنها، وهى من أحب الناس إليه ﷺ، عما تقول إذا زارت القبور؟ فعلمها السلام والدعاء، ولم يعلمها أن تقرأ الفاتحة أو غيرها من القرآن، فلو أن القراءة كانت مشروعة لما كتم ذلك عنها، كيف، وتأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز كما تقرر فى علم الأصول، فكيف بالكتمان؟ ولو أنه ﷺ علمهم شيئا من ذلك لنقل إلينا، فإذ لم ينقل بالسند الثابت، دل على أنه لم يقع. (٣)

لا يصل إلى الميت إلا ثواب صدقة جارية كنهر بناه، أو بئر حفره، أو مستشفى أنشأه، ونحو ذلك، أو علم تعلمه وعلمه الناس، أو دعاء واستغفار، ففى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول ﷺ: "اذا مات الانسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة،

(١) تلخيص أحكام الجنائز: ص ٨١

(٢) أخرجه مسلم

(٣)تلخيص أحكام الجنائز: ص ٨٢

إلا من صدقة جارية، أوعلم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له".

إذا حصر وصول الأجر إلى الميت فى هذه الأشياء الثلاثة المذكورة فى الحديث فكيف يصل ثواب قراء ة القرآن إليه؟ فالذين يقرء ون القرآن ظانين أن أجر قراء ة القرآن يصل إلى الميت يعملون من غير دليل.

٦٨ – ومن آداب زيارة القبور عدم الاستعانة والاستغاثة بالمقبور، وعدم التوسل والاستشفاع والاستشفاء به ، وعدم تقديم القرابين والنذور والهدايا للمزارات والقبور وتعظيمها، لورود الأحاديث بالنهى عن ذلك.

٦٩ – ويجوز رفع اليدين فى الدعاء لأهل القبور ،لحديث عائشة رضى الله عنها قالت: "خرج رسول الله ﷺ ذات ليلة، فأرسلت بريرة فى أثره لتنظر أين ذهب! قالت: فسلك نحو بقيع الغرقد، فوقف فى أدنى البقيع ثم رفع يديه، ثم انصرف، فرجعت ألىّ بريرة، فأخبرتنى، فلما أصبحت سألته، فقلت: يا رسول الله أين خرجت الليلة؟ قال:

"بعثت إلى أهل البقيع لأصلى عليهم" . (١)

٧٠ – ولكنه لا يستقبل القبور حين الدعاء لها، بل الكعبة، لنهيه ﷺ عن الصلاة الى القبور . (٢)

٧١ – وإذا زار قبر الكافر فلا يسلم عليه، ولا يدعو له، بل يبشره بالنار، كذلك أمر رسول الله ﷺ فى حديث سعد بن أبى وقاص قال:

"جاء أعرابى إلى النبى ﷺ فقال: إن أبى كان يصل الرحم، وكان، وكان، فأين هو؟ قال: "فى النار" فكأن الأعرابى وجد من ذلك، فقال: يا رسول الله ! فأين أبوك؟ قال: حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار" .

قال: فأسلم الأعرابى بعد، فقال:

(١) تلخيص أحكام الجنائز: ص ٨٣

(٢) المصدر نفسه

لقد كلفنى رسول الله ﷺ تعبا! ما مررت بقبر كافر إلا بشرته بالنار. (١)

٧٢ – ولا يشرع وضع الآس ونحوها من الرياحين والورود على القبور، لأنه لم يكن من فعل السلف، ولو كان خيرا لسبقونا إليه، وقد قال ابن عمر رضى الله عنهما:

كل بدعة ضلالة، وإن رآها الناس حسنة". (٢)

٧٣ – يحرم عند القبور ما يأتى:

١ – الذبح لها، لحديث أنس قال قال رسول الله ﷺ "لا عقر فى الإسلام". (٣)

٢ – طليها بالكلس ونحوه.

٣ – الكتابة عليها.

٤ – البناء عليها.

٥ – القعود عليها.

لحديث جابر رضى الله عنه قال: "نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر، وأن يقعد عليه، وأن يبنى عليه، أو يزاد عليه أو يكتب عليه" (٤)

٦ – الصلاة إلى القبور، لحديث أبى مرثد الغنوى قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " لا تصلوا إلى القبور، ولا تجلسوا عليها". (٥)

٧ – الصلاة عندها ولو بدون استقبال، لقول النبى ﷺ: "ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد. ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإنى أنهاكم عن ذلك". (٦)

---

(١) المصدر السابق: ص ٨٣ – ٨٤

(٢) المصدر السابق : ص ٨٤

(٣) أخرجه أبو داود، ٧٤، باب كراهية الذبح عند القبر (٣٢٠٦)

(٤) أخرجه أبو داود

(٥) أخرجه مسلم

(٦) أخرجه مسلم فى صحيحه

٨ – بناء المساجد عليها. لحديث عائشة رضى الله عنها قالت: "لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها، فقال وهو كذلك لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، يحذر ما صنعوا ولو لا ذلك أبرز قبره غير أنه خشى أن يتخذ مسجدا". (١)

ولقوله ﷺ: " اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد" (٢)

٩ – اتخاذها عيدا، تقصد فى أوقات معينة، ومواسم معروفة، للتعبد عندها، أو لغيرها، لحديث أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول ﷺ: "لا تتخذوا قبرى عيدا"، ولا تجعلوا بيوتكم قبورا، وحيثما كنتم فصلوا على، فان صلاتكم تبلغنى".

١٠ – السفر إليها

فعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: "لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد الرسول ﷺ، والمسجد الأقصى". (٣)

١١ – إيقاد السرج عندها:

والدليل على ذلك حديث ابن عباس قال : "لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج". (٤)

(يتبع)

☆☆☆

(١) متفق عليه

(٢) رواه مالك وأحمد

(٣) رواه البخارى : ١٠٤٠ – باب فضل الصلاة فى مسجد مكة والمدينة (١١٨٩)

(٤) رواه أبو داود، قال الترمذى : حديث حسن .

تصحيح المفاهيم

أولئك شرار الخلق عند الله

ظهير أحمد بشير – مالده

من حكمة الله فى خلق الجن والإنس إخلاص العبادة بجميع أنواعها له، من السجود، والركوع، والدعاء، والاستعانة ، والاستغاثة، والذبح، والنذر، وما إلى ذلك. قال تعالى: ﴿ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ . (١)

بدء الشرك

كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام، وجميع أنواع البدعة والشرك ابتدأت بعد عهد نوح عليه السلام . قال الله تعالى: ﴿وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا، وقد أضلوا كثيرا﴾. (٢) إن يغوث ويعوق ونسرا كانوا قوما صالحين من بنى آدم، وكان لهم أتباع يقتدون بهم فلما ماتوا قال الذين كانوا يقتدون بهم: لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم فصوروهم، فلما ماتوا وجاء آخرون دب إليهم إبليس فقال: إنما كانوا يعبدونهم وبهم يسقون المطر، فعبدوهم.

فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين: فتنة اللجوء إلى القبور، وفتنة التماثيل، وهما الفتنتان اللتان أشار إليهما رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فى الحديث عن عائشة أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأينها بالحبشة فيها تصاوير، لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله عز وجل يوم القيامة. (٣)

النهى عن اتخاذ القبور مساجد

لأجل العلة المذكورة بأعلاه نهى الشارع عن اتخاذ المساجد على القبور و الدعاء

(١) النحل: ٣٦ (٢) نوح: ٢٣ – ٢٤ (٣) الصحيح لمسلم : ١/٢٠١

عندها، والتضرع لديها، والصلاة إليها، والطواف بها وتقبيلها واستلامها، وتعفير الخدود على ترابها، وعبادة أصحابها، والاستعانة بهم، وسؤالهم النصر والرزق والعافية وقضاء الديون وتفريج الكربات وإغاثة اللهفات وغير ذلك من أنواع الطلبات التى كان عباد الأوثان يسألونها أوثانهم.

قد وردت أحاديث كثيرة فى النهى عن ذلك:

فى رواية مسلم: "لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبورا أنبيائهم مساجد" (٤) وله رواية أخرى عن أبى مرثد الغنوى أن رسول الله ﷺ قال: "لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها".

وفى رواية أبى داود عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ: "لا تجعلوا بيوتكم قبورا، ولا تجعلوا قبرى عيدا وصلوا علي، فإن صلاتكم تبلغنى حيث كنتم".

النهى عن اتخاذ أفضل القبور عيدا

إن قبر رسول الله ﷺ أفضل قبر على وجه الأرض وقد نهى عن اتخاذه عيدا، ففى غيره أولى بالنهى كائنا ما كان. ثم إنه قرن ذلك بقوله "ولا تتخذوا بيوتكم قبورا" أن لا تعطلوها من الصلاة فيها، والدعاء والقراء ة، فتكون بمنزلة القبور فأمر بتحرى النافلة فى البيوت، ونهى عن تحرى العبادة عند القبور. وهذا ضد ما عليه المشركون من النصارى وأشباههم، ثم إنه عقَّب النهى عن اتخاذه عيدا بقوله "وصلوا على فإن صلاتكم تبلغنى حيث كنتم" يشير بذلك إلى أن ما ينالنى منكم من الصلاة والسلام يحصل مع قربكم من قبرى وبعدكم ـ فلا حاجة بكم إلى اتخاذه عيدا.

فبأي مبرر ينعكف بعض المسلمين على القبور ويتخذونها عيدا، ويصلون إليها، ويطوفون بها، ويقبلونها ويستلمونها، ويعفرون الخدود على ترابها؟ ! إذ المعلوم أن ذاك كله شرك فلا بد من الابتعاد عنه وإلا يكون فاعلوه شرار الخلق عند الله كما فى الحديث النبوى!

☆☆☆

---

(٤) المصدر السابق

العالم الاسلامى

مسابقة تأصيل العلوم

المقدمة

للعلوم الحديثية بشكل عام والعلوم الاجتماعية بوجه خاص، تأثير كبير فى التكوين الفكرى والثقافى لأبناء الأمة من خلال ما تطرحه من نظريات فى المعرفة ومناهج البحث فضلا عن محتوى المقررات الدراسيةوالمراجع، ومن المعروف أن بعضها يحمل توجهات تناقض التصور الاسلامى للإنسان والكون والحياة، وهذا يؤدي للتشكك والاضطراب الفكري وفقدان الثقة بالثقافة الإسلامية، كما يحدث صراعات وانقسامات داخل المجتمع الواحد.

من أجل ذلك قامت الندوة العالمية للشباب الاسلامى بإنشاء لجنة التأصيل الإسلامي للعلوم بهدف الإسهام في إعادة بناء العلوم الحديثة بحيث تكون منطلقة ومتوافقة مع ما جاء به الإسلام عقيدة وشريعة وحضارة، ومتوائمة ومتوافقة مع ذلك، ومن ضمن اهتماماتها تقديم منظومة لمشروعات تخاطب فيها أساتذة الجامعات والمفكرين وطلاب الدراسات العليا للقيام ببحوث ودراسات تجمع بين النظرة الإسلامية والصحيح النافع من نتائج العلوم الحديثة، وكذلك تأليف الكتب الجامعية وفق رؤية إسلامية مؤصلة ومنهج علمي رصين.

ويشمل هذا البرنامج

- منهج التأصيل
- مجموعة كتب جامعية تُعد مدخلا تأصيليا لعلم من العلوم (مثل علم النفس – علم الاجتماع – العلوم السياسية ... الخ) وفق شروط معينة وأهداف محددة.

الموضوع الأول

منهج التأصيل

الهدف:

تقديم دراسة علمية عن منهج التأصيل الاسلامى للعلوم بطريقة مفصلة ومبنية على معرفة وفهم كاملين للمنهج العلمي وإشكالاته وتطوره التاريخي، ويبنى المنهج على مصادر المعرفة المعتمدة على التصور الإسلامى، ويوضح من خلالها أسس المنهج ومسلماته، وطرق البحث والأدوات المستخدمة في الحصول على المعلومات ومعالجتها.

الموضوع الثانى

مجموعة كتب جامعية تُعد مدخلا تأصيليا لعلم من العلوم (مثل علم النفس – علم الاجتماع – العلوم السياسية – التربية والمناهج ... الخ).

الهدف:

تأليف كتاب علمي يخدم مقررا دراسيا لطلاب المرحلة الجامعية، تغطي مفرداته المجال العلمي معروضة بطريقة مؤصلة، تبدأ بنبذة تاريخية عن المجال العلمي، ثم عرض موضوعات المقرر بأسلوب علمي مبني على التأصيل الإسلامي لموضوعات التخصص.

الشروط

- اتباع الأسلوب العلمي في الكتابة.
- الرجوع إلى كتب التفسير الموثوقة، عند تناول معاني الآيات القرآنية.
- عند الاستدلال بالأحاديث النبوية يجب الاقتصار على الصحيح منها.
- الالتزام بالمواعيد المحددة للتقديم على مرحلتين:
  ١ – مرحلة تقديم خطة الدراسة المتكاملة تمهيدا لإجازتها.
  ٢ – مرحلة تقديم الدراسة بصورتها النهائية.
- تقدم كل من الخطة المبدئية والدراسة النهائية على نسخة ورقية مرفق معها نسخة على قرص مرن مكتوبة بمقاس ١٦.
- يمكن أن يشارك في الدراسة أكثر من باحث.
- تخضع الدراسة للتحكيم العلمي.

المواعيد:

- الموعد النهائي لاستلام خطة الدراسة هو ١٤٢٩/٧/٢٩هـ الموافق ٢٠٠٨/٨/١م.
- الموعد النهائي لاستلام الدراسة كاملة هو ١٤٣٠/٩/١٥هـ الموافق ٢٠٠٩/٩/٥م.

المكافأة والحقوق

– خصصت مكافأة مالية حسب جودة العمل وأصالته أن لا تقل عن عشرين ألف ريال سعودي للدراسة المقبولة بعد اجتيازها للتحكيم.

– تؤول كل حقوق نشر وإعادة النشر للدراسة المقبولة بكافة أشكالها لملكية الندوة العالمية للشباب الإسلامى "لجنة التأصيل الإسلامى للعلوم".

– يمكن الدخول على موقع اللجنة على الانترنت للاطلاع على قوائم بعض المراجع فى التأصيل الإسلامي.☆☆

www.wamy.org/tassel

المراسلات: المملكة العربية السعودية

الندوة العالمية للشباب الاسلامى – لجنة التأصيل الإسلامى للعلوم

ص. ب ١٠٨٤٥ ، الرياض ١١٤٤٣

هاتف (٢٠٥٠٠٠٠) فاكس (٢٠٥١١٠٠)

E-mail: tassel@wamy.org

المجلة تهدف إلى

- ☆ إعلاء كلمة الله، والدعوة إلى الاعتصام بحبل الله، والتمسك بكتابه، وسنة نبيه ﷺ، بعيدا عن التحيز الفكري، والتعصب المذهبي، وتبليغ رسالة الإسلام، وتنوير الرأي العام بمبادئها وتعاليمها الصحيحة ودحض الشبهات عنها، ورفع مستوى الدراسات الإسلامية والثقافة الدينية.
- ☆ مقاومة الأفكار الدخيلة، والتيارات المنحرفة، والمباديء الهدامة، وضلال الزيغ والالحاد، وسائر المنكرات، بأسلوب علمي رصين ملائم لروح العصر مع التجنب عن لغو القول وسفاسف الأمور وكل ما فى نشره ضرر للمسلمين أو خطر على وحدتهم وتضامنهم.
- ☆ مؤازرة الكتاب والأدباء الاسلاميين، واستنهاض هممهم لتناول موضوعات العصر، وشرح تعاليم الاسلام السمحة، ليتمكنوا من الذود عن الاسلام وقيمه، فى تعمق ووعي وجرأة ودأب، وعن إيمان وإخلاص.
- ☆ إيقاظ الروح الدينية، وبث الوعي الإسلامى فى الشباب المسلم، وتزويدهم بالثقافة الاسلامية الواسعة، وإعدادهم للاسهام فى معركة اللسان والقلم، وتبصير المسلمين بمزايا الشريعة الإسلامية والرجوع بهم إلى مصادر الدين الأصلية من الكتاب والسنة.
- ☆ نشر العلوم الاسلامية والعربية بين المسلمين فى الهند، وتعميم اللغة العربية بين المثقفين، ورفع مستواها كتابة وخطابة.
- ☆ التوجيه الديني السليم للمسلمين فى القضايا الراهنة، والمشاكل الناجمة، حتى يتمكنوا من المضي فى طريقهم على هدى وبصيرة.

والله هو المسئول أن يهدينا إلى سبيل الرشاد.

عـــدد صفحـــات الجـــزء: ٦٠